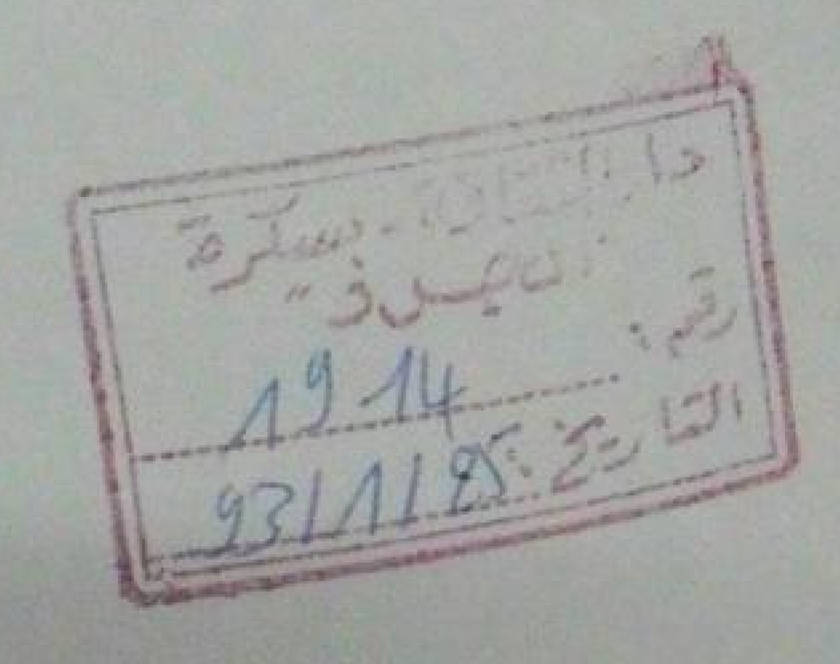

الموسوعة التاريخية للشباب
شهيد الكلمة
رضا حوحو
صدار هذه السلسلة بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة
1954 - 1984
الصالح رمضان
67

محمد الصالح رمضان

شهيد الكلمة

رضا حوحو

1911 — 1956



منشورات وزارة الثقافة والسياحة
مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث: الجزائر

هذه الموسوعة التاريخية للشباب تهدف الى تعميم الثقافة التاريخية الوطنية في أوساط الشباب الذي يبدو اليوم أكثر تعطشا للمعرفة عامة وللتاريخ خاصة .

وإن توافق إصدار هذه الموسوعة مع احتفالات الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية الكبرى ، لمن شأنه أن يبعث فينا روح التطلع الى مواصلة هذه المسيرة من أجل تحقيق أهداف الثورة كاملة ولأجل بلوغ الغاية القصوى المتمثلة في الثورة الثقافية الشاملة .

د . محمد الطاهر العدواني

الاشراف الفني : حسين بروية

الفاتحة

شهداء الكلمة في ثورة التحرير الجزائرية (1954 ـ 1962) عديدون : علماء ، أدباء (كتاب وشعراء) ، صحافيون ، محامون ، أطباء ، الخ.

كان في طليعتهم : العالم الاصولي الشيخ العربي التبسي والفقيه الشيخ محمد العدوى ، والاديبان : رضا حوحو ومولود فرعون ، والشاعران : الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون ، والصحفيان : الأمين العمودى وأحمد بوشمال ، والصيدلي علاوة عباس ، والمحامي علي بومنجل والطبيب ابن زرجب و ... و ... الخ ...

وأما المعلمون والمدرسون ، والطلاب والطالبات ، والتلاميذ والتلميذات ، فعددهم لا يحصى ضمن قافلة الشهداء الأبرار التي فاق عددها عشر سكان الوطن الجزائري . لما ننصف أكثرهم ولو بكلمة طيبة تسجل ، فضلا عن أن نوفيهم حقهم بالبحث والدراسة لتخليد ذكرهم والاشادة بأعمالهم ، ليكونوا مصابيح هداية للاجيال القادمة .

أما الكلمات التي تلقى وترتجل في المناسبات والذكريات المحلية ـ وان كانت تشيد بهم ـ فغير كافية ، لأنها تموت وتنسى بعد تلك المناسبة التي قيلت فيها مباشرة .



الأستاذ أحمد رضا حوحو كاتب ادارة معهد ابن باديس بقسنطينة .

والمهم تسجيل ما ينبغي تسجيله للتاريخ من كفاحهم ومواقفهم ، ونشر آثارهم ودراستها وتحليلها ، واستجلاء العبر الصالحة منها .

وفي هذه العجالة التي طلبت مني في عجل لتقديمها في أجل معلوم لعامة الشباب ، محاولة اشادة وتنويه وتخليد لاحد أولئك الأدباء الشهداء : الاديب الصحفي القاص الاستاذ أحمد رضا حوحو ، وآثاره وانتاجه ، أقدمها بالسرعة الممكنة المطلوبة مني ، وكلي أمل أن يجد فيها القراء ما يريدون أن يعرفوه عن هذا المناضل الأديب شهيد الكلمة ، وعن أنواع إنتاجه المختلفة ، ما طبع منها وما لم يطبع ، مع عرض نماذج منها ، وذكر بعض ما قيل فيها وفي صاحبها من لدن كتابنا ومفكرينا الذين عرفوه ودرسوا انتاجه ، أرجو أن تكون كافية وافية .

وآمل أن يستمر مثل هذا العمل مع بقية رجالنا من شهداء الكلمة ، من كل من يأنس من نفسه الكفاءة والمقدرة فيعرفنا بمن يعرف منهم .

القبة يوم 12 رمضان 1404 هـ و 12 جوان 1984 م .

محمد الصالح رمضان .

نشأة حوحو وحياتـه

بيئتـه :

ولد أديبنا الاجتماعي أحمد رضا حوحو سنة 1911 م في قرية من قرى الزاب الشرقي ، هي بلدة (سيدي عقبة) مثوى جثمان الفاتح العربي الكبير خالد الذكر سيدنا (عقبة بن نافع الفهرى) رضي الله عنه ، أحد قادة الفتح الإسلامي الأوائل الذي جاءنا بالإسلام وحرّر رقابنا من الروم والرومان ، وحرر عقولنا من عبادة الشرك والأوثان . ولذلك حملت هذه البلدة الطيبة اسمه ، فدعيت (سيدى عقبة) ، وهي تبعد عن مدينة (بسكرة) قاعدة الزيبان بنحو عشرين ميلا الى الشرق منها .

وكما أن (جامع سيدي عقبة) في القيروان بالجنوب التونسي ، يُعَدُّ أجل وأقدم أثر عربي إسلامي في إفريقيا ، كذلك يعتبر (مسجد سيدي عقبة) المقام على ضريحه في

(بلدة سيدي عقبة) أجل وأقدم أثر إسلامي في الجزائر . ما يزال محجا للزوار والسياح من الجزائريين ومن الأجانب ، وقد أقامت أخيرا وزارة الشؤون الدينية خارج بلدة سيدي عقبة معهدا إسلاميا كبيرا لتخريج الأئمة يحمل اسمه تخليدا لذكرى الفاتح العربي الاسلامي العظيم .

وقد اشتهر بالانتساب إلى هذه البلدة الكريمة شخصيات كبيرة في القديم وفي الحديث ، اذكر منهم في عصرنا شخصيتين شهيرتين في الجزائر وفي الخارج هما : (الشيخ الطيب العقبي) داعية الاصلاح الديني فى الجزائر ، وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثلاثة في الثلاثينات : ابن باديس والعقبي والابراهيمي ، وشخصية أخرى في ميدان آخر من ميادين العلم والحياة ، وهي شخصية الطبيب النطاسي الشهير الاستاذ (الدكتور علي العقبي) أحد الرواد الأوائل للطب الجراحي الجزائري الذي يتمتع بشهرة واسعة في المغرب العربي ، وفي الغرب الأروبي .

وغير هذين من الرجال كثير ، فالبلدة منبت نبوغ وعبقرية ، ولا غرو أن يكون أديبنا حوحو منها ، وقد أشتهر قبل حوحو في العشرينات أديب آخر من نفس البلدة ومن نفس العائلة وهو الاديب (العزوزي حوحو) . رحم الله الجميع رحمة واسعة .

وكانت (سيدي عقبة) مركز إشعاع ديني وثقافي ، تخرج حفاظ القرآن والفقهاء ومثقفي اللغة العربية بالزيبان ، مثل زوايا : الهامل وطولقة والخنقة .

تعلمه :

في هذه البلدة الطيبة نشأ أديبنا أحمد رضا كما ينشأ أبناء الجنوب في القرى والمدن الصحراوية ، وترعرع في أحضان تلك العائلة الماجدة عائلة (حوحو) ، وهي من أشهر عائلات البلدة علما وفضلا وجاها وثروة ، وكان أبوه شيخ بلدة سيدي عقبة ، فلما بلغ الطفل سن التعلم (الرابعة أو الخامسة) أدخله والده الكتاب فحفظ ما شاء الله أن يحفظ من كلام الله العزيز ، وتعلم ما تيسر له أن يتعلم من مبادئ الاسلام والعربية على شيوخ البلدة وفقهائها ، كما التحق في سن السادسة من عمره بالمدرسة الابتدائية الفرنسية فتعلم اللغة الفرنسية ومبادئ العلوم والمعارف بها على المعلمين الرسميين حتى الشهادة الابتدائية التي أحرز عليها في سنة 1922 أو 1923 م .

وبعد أن تحصل على الشهادة الابتدائية الفرنسية بارسله والده الى مدينة (سكيكدة) في الشمال على ساحل البحر ، حيث واصل تعلمه التكميلي بالفرنسية الى أن نال الاهلية (البروفي) في سنة 1928 ، ولأمر ما لم يتابع تعليمه الثانوي

في الثانويات الفرنسية بعد نيل شهادة التكميلي التي تؤهله لذلك ، وعاد الى الجنوب ليشتغل كعامل بسيط في البريد والمواصلات في منطقته ، وبذلك تسنّى له أن يطلع على أنماط الحياة في وطنه في أول عهده بالحياة ، في بيئتين مختلفتين بيئة قروية صحراوية وبيئة حضارية تلية ساحلية ، وفي مجتمعين متباينين : مجتمع عربي إسلامي خالص (في الصحراء) ومجتمع أوروبي مسيحي في معظمه (بالتل) .

ورأى الفروق الكبيرة الصارخة في وطنه بين هذين المجتمعين ، حيث يتمتع السكان في (سكيكدة) والمدن التلية والساحلية بشيء من الحرية والديمقراطية والتفتح ، في وقت يرزح فيه سكان الجنوب في (سيدي عقبة) وغيرها من القرى والمدن الصحراوية ، تحت وطأة الأحكام الزجرية العرفية في نظام الحكم العسكري الاستبدادي ، الذي سلطه الاستعمار الفرنسي على سكان الجنوب من أهل الصحراء طيلة العهد الفرنسي بالجزائر . أمضى حوحو بضع سنوات يتمتع بالهدوء والراحة والاستقرار ، يشتغل بوظيفته في إدارة البرق والهاتف ، تزوج أثناءها بأحدى كريمات بعض الأسر الفاضلة ، كان يطالع الصحف والكتب في أوقات فراغه ، ويحضر الدروس المسجدية لبعض شيوخ بلده ليتفقه في دينه ولغته . الى أن فوجئ ذات يوم من سنة

1934 بأبيه يخبره والأسرة كلها بالاستعداد للسفر ومفارقة العشيرةوالبلد .

الهجرة والاغتراب :

وفي عز شبابه في عام 1934 أو 1935 ذاق آلام الهجرة والاغتراب عن مأوى العشيرة والاحباب ، فسافر الى الحجاز مع والديه وأخوته وزوجته ، كان هذا السفر باسم الحج بالنسبة للسلطات ، ولكنه في الحق والواقع كان بنية الهجرة ومغادرة البلاد نهائيا .

كان ذلك نتيجة صراع مرير بين والد أحمد رضا حوحو (شيخ البلدة) ، وبين أحد رؤساء الأهالي الكبار (الباشا آغا) من الطغاة المستبدين المتعاونين مع الاستعمار ضد بلدهم ومواطنيهم . فاضطر الوالد الى مغادرة الوطن الحبيب بجميع أسرته الى المملكة العربية السعودية ، ليستقربها ويمضي بقية حياته فيها فرارا من ظلم الاستعمار ومكائده ، وظلم وعدوان أعوانه من المواطنين . وظلم ذوي القربى أشد مرارة من ظلم العدو الأجنبي .

وفي المدينة المنورة حيث استقرت العائلة ، أتم أحمد رضا معلوماته العربية في معهد العلوم الشرعية ، حيث توسع في العلوم العربية والدينية ، وتحصل على شهادته العليا سنة 1938 بامتياز . وعين مدرسا فيه لتفوقه على أقرانه .

أقام في الحجاز نحو عشر سنوات ، قضى شطرها الأول في التعلم والتعليم بالمدينة ، وشطرها الثاني ابتداء من سنة 1940 في العمل بإدارة البريد في مكة ، وظيفته الأولى التي تمرس عليها في الجزائر .

نشاطه الأدبي في الحجاز :

في تلك الفترة بدأ نشاطه الفكري والأدبي يظهر في الصحف والمجالس ، ولعل أول مقال نشر له كان سنة 1937 فى مجلة (الرابطة العربية) لأمين سعيد التى كانت تصدر بالقاهرة ، وكان بعنوان (الطرقية فى خدمة الاستعمار) ، كان له صدى كبير في الاوساط الطرقية بالمشرق والمغرب ، وواصل الكتابة بعد ذلك في مجلة (المنهل) السعودية المكية ، وغيرها من الصحف والمجلات العربية . وكانت مجلة (المنهل) بالخصوص هي ميدانه الواسع للتعبير عن آرائه الأدبية وأفكاره الاجتماعية ، حيث ظهرت له فيها عدة مقالات ومترجمات أدبية واجتماعية وبعض القصص والبحوث ، منها على سبيل المثال : (هل يأفل نجم الأب ؟) (ابن الوادى) ، (الأديب الأخير) . وكان يترجم للمجلة ما يروق له من روائع الأدب الفرنسي ، ففتح بذلك لقراء (المنهل) نافذة للتعرف على الأدب الغربي والفرنسي منه

بالخصوص ، وفي هذه المجلة اشتهر حوحو كأديب وقاص اجتماعي ، ووصل صيته إلى الجزائر قبل أن يعود إليها .

الرجوع إلى الوطـن :

في سنة 1945 رجع من الحجاز إلى الجزائر ـ بعد وفاة والديه ـ مارا بمصر التي أقام بها شهرا كاملا ينتظر باخرة تتجه الى الجزائر ، وكانت حركة البواخر مضطربة في البحر الابيض المتوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية . فاضطر بعد اليأس الى ركوب باخرة في اتجاه فرنسا ، واعترضته صعوبات جمة في هذه الرحلة ما كان يتصورها ، زادته علما وخبرة بمشاكل الحياة وأتعابها فزادته تبرما بالحياة وبالسلطة الفرنسية .

وفي إقامته بمصر تعرف على شخصيات ثقافية علمية وأدبية بالخصوص ، منها على سبيل المثال : رجلان عظيمان جزائريان كانا يقيمان في القاهرة : العلامة الشيخ الخضر بن الحسين ، والداعية الاسلامي الشيخ الفضيل الورتلاني ، وكانا في قمة مجدهما وشهرتهما .

وبمجرد استقراره في وطنه أنضم الى حركة (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي كان يتابع نشاطها وأخبارها

وهو بالحجاز ، فهي أقرب هيئة ثقافية تقدمية تناسب أفكاره التحررية ، وكانت مدينة قسنطينة مهد النهضة الشاملة ومركز البعث واليقظة والنشاط ، فاختارها مقرا ومقاما ، وعمل مديرا بها لمدرسة (التربية والتعليم الاسلامية) أم المدارس الاصلاحية بالقطاع الشرقي ، وهي من مؤسسات رائد النهضة الشيخ ابن باديس ، بقي فيها نحو السنتين ، ثم انتدب لادارة مدرسة شاطودان سابقا (شلغوم العيد حاليا) التابعة لجمعية العلماء ، لفترة زمنية قليلة ، ولما تم إنشاء (معهد عبد الحميد بن باديس) عاد الى مدينة قسنطينة سنة 1947 ليتولى منصب الكاتب العام للمعهد ، وانتخب عضوا عاملا في المجلس الأداري لجمعية العلماء ، وعضوا في مكتب (لجنة التعليم العليا) التى تشرف على مدارس الجمعية للتعليم العربي الحربعد تكوينها سنة 1948 ، واستمر يعمل في منصبه كأمين عام للمعهد الباديسي ، إلى أن متعه الله بالشهادة ، كما سنرى ذلك فيما بعد .

وتعتبر هذه الفترة من حياته التي قضاها بقسنطينة (قلب الوطن النابض بالحياة والحركة) أخصب سنى حياته نشاطا وانتاجا وحيوية ، تفوق نشاطه الأدبى الذى عرف به في الحجاز .



مكتب ادارة مؤتمر المعلمين الأحرار بمركز جمعية العلماء بالعاصمة المنعقد من الخامس شوال الى عاشره 1365 هـ . ومن فاتح سبتمبر الى سادسه 1946 م ، يمثل الرسم من اليمين الى اليسار الأساتذة والمشائخ الآتية أسماؤهم :

في الصف الأمامي : محمد المنصوري الغسيري ، محمد الصالح رمضان ، أحمد رضا حوحو ، أحمد بن ذياب .

في الصف الوسط : باعزيز بن عمر ، عبد اللطيف القنطري ، العربي التبسي ، البشير الابراهيمي ، محمد العابد الجلالي ، نعيم النعيمي ، محمد الصالح بن عتيق .

في الصف الخلفي : بلقاسم بن رواق امحمد الشبوكي ، أحمد بوشمال ، علي مرحوم ، أحمد سحنون ، الجيلالي حجاج .

رحلاته إلى الخارج :

بالاضافة إلى رحلته الأولى إلى الشرق وعودته منه إلى الغرب التي لم يَكتب عنها شيئا فيما أعلم ، قام برحلات أخرى إلى فرنسا وربما إلى تونس أو غيرهما لم يَكتب عنها كذلك ، والرحلة الوحيدة التي اهتم بها وكتب عنها مشاهداته وانطباعاته في سلسلة مقالات بجريدة (الشعلة) التي كان يتولى إدارة تحريرها بقسنطينة .

ففي العطلة الصيفية من سنة 1950 قام برحلة طويلة ـ ضمن وفد منتخب ـ الى الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا ، وكتب عنها في جريدة الشعلة عدة حلقات من عدد (40) إلى عدد (54) الذي توقفت فيه الجريدة دون أن يستوفي حوحو الكلام عن رحلته ، كانت هذه المقالات بعنوان (عدت من الاتحاد السوفييتي) ليتها تجمع وتطبع كاملة مع تراثه .

أما رحلته إلىباريس التي كانت قبل رحلته إلى الاتحاد السوفييتي بعام واحد ، فقد كانت بسبب الحضور والمشاركة في (المؤتمر العالمي للسلم) الذي انعقد في باريس ضد الحرب ، واتصل فيه بكبار الشخصيات العالمية ، مثل رئيس هذا المؤتمر ، العالم الفرنسي الكبير الاستاذ بييركورى ، وهو من علماء الذرة الفرنسيين ومن دعاة السلم .

وسأثبت الكلمة التي ألقاها حوحو باسم الجزائر في هذا المؤتمر ، في فصل (نماذج من كتابات حوحو) ، وكذلك فاتحة الرحلة السوفييتية .

تنوع نشاطه الأدبي والفني :

كان يوالى الكتابة في جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ قبل أن تظهر : جريدة (الشعلة) لسان حال شبيبة العلماء وبعدها ـ وكانت مواضيع مقالاته في البصائر : أدبية واجتماعية وسياسية متنوعة بعناوين مغرية جذابة لم يكن لنا بها عهد من قبل في صحفنا . وفي هاتين الصحيفتين اشتهر الاستاذ حوحو عند الجزائريين والشمال إفريقيين عامة ، كأديب صحفي ناجح ، وناقد اجتماعي بصير . كما سأتعرض الى ذلك فيما بعد ، بشيء من التفصيل عند الكلام عن إنتاجه وآثاره في الفصل التالي لهذا .

ومع هذا النشاط الادبي الكتابي ، كان له نشاط آخر فني يتمثل في الاشراف على فرقة فنية للتمثيل والموسيقى تدعى (المزهر القسنطيني) مدة من الزمن ، يؤلف لها التمثيليات والمسرحيات بالفصحى والدارجة ، ويضع لها الاغاني الشعبية المناسبة للادوار ، وقد يترجم أو يقتبس من روايات ومسرحيات الأدب الفرنسي والأدب العربي والعالمي ،

ويشرف على تخريجها وتمثيلها بمشاركة بعض الفنانين برئاسة صديقه الدكتور ابن دالى ، وكان يحسن العزف على بعض الآلات الوترية ، هذه أمثلة من نشاطه الأدبي والفني .

استشهاده :

وأخيراً اختفى من الساحة الأدبية في الجزائر هذا الأديب اللامع ، وأفل هذا النجم الساطع ، من السماء المتلبدة بالغيوم المنذرة بالعواصف والزوابع ، ذهب حوحو في قمة شبابه ، وغضاضة إهابه ، وقد بدأ ينضج ويستكمل أدوات شهرته ونبوغه . كان ذلك في مساء يوم 29 مارس سنة 1956 بقسنطينة ، اثر انفجار مهول بمقر البوليس الفرنسي في (رحبة الصوف) قلب المدينة النابض بالحركة ، اهتزت له المدينة كلها ، وخاصة السلطات الحاكمة لانه أودى بحياة محافظ الشرطة في الدائرة الثانية بالمدينة ، واسمه (سان مرسيلي) وهو كورسي معروف بشدة حقده وبغضه للجزائريين ، كان شبحا رهيبا للفدائيين ، له شبكة مخابرات شديدة الاتصال بالاحياء العربية كثيرة النشاط تحصى على كل واحد أنفاسه وتحركاته ، فيها بعض الخونة الجزائريين ، كعيون وأدلاء . فهي الأخطبوط المرعب في

قسنطينة وقتئذ ، ففجر إعدام الكوميسار الكورسي الفرنسيين والكورسيين بالخصوص – ومعظم الشرطة منهم – وترك الانفجار خسائر باهضة في المركز المذكور وما يحيط به . وكالعادة في مثل هذه الحوادث ، تسلط السلطات : العسكرية منها والمدنية جام غضبها وحقدها على المواطنين العزل ، فتنتقم منهم حبسا وتقتيلا وتنكيلا ، فى المنطقة التي يقع فيما الحادث بدون تمييز بين الناس ، ويكفى أن يكونوا من الجزائريين ، تتسع دائرة هذه المنطقة أو تضيق بحسب أهمية الحادث ونفسية الحاكمين والمنفذين . وفى هذه المرة أتسعت الدائرة حتى شملت المدينة كلها ، حيثما وجد فيها عرب ، كان ذلك فى عهد ولاية اليهودي العنصري (دبيش) الذي طاش عقله وذهب صوابه فأعطى تعليماته وأصدر أوامره بالقيام بالواجب الذى تقتضيه الظروف بلا شفقة ولا رحمة .

طوق الجيش الفرنسي المدينة كلها ، وقام بعمليات تفتيش واسعة ، ساعده فيها البوليس الفرنسي الكورسي ، والمنظمات الأرهابية السرية منها والعلنية ، شملت حسب ما صرحت به جريدة (لاديبش) القسنطينية نحو ثلاثين ألف مواطن حشدوا حشد السردين في ساحة الكدية قرب المحافظة المركزية للشرطة .

كان من بين عملياتهم التي قاموا بها في ذلك اليوم ، أن قدم عدد من جنود المظلات المعروفين ببطشهم الى معهد عبد الحميد بن باديس ليسوقوا من وجدوا فيه من أساتذة وطلاب وموظفين ، ويحملوهم في شاحنات من نوع (ج . م . س) الى ساحة الكدية ، وكذلك فعلوا بالمراكز الخاصة بالجزائريين .

وفي منتصف الليل أو في أواخره أطلق سراح بعض المحتجزين ليعودوا الى منازلهم سالمين . ولكن ليلقوا مصارعهم بعد ذلك في طريق عودتهم ، برصاص الجند المشحون بالحقد والغضب ، أو المنظمات الأرهابية فى زيّ الجند المتربصين فى كل شارع لا يميزون بين جزائري وجزائري .

أما حوحو وبعض الشخصيات من الاعيان والمثقفين الذين يرى الفرنسيون فيهم خطرا دائما عليهم ، وطاقة حية لاستمرارية الثورة ، فقد اقتحموا عليهم منازلهم في الليل البهيم ، وقضوا عليهم ورموا بهم في خنادق عميقة وآبار مهجورة ، وأهالوا عليهم التراب لكيلا يعثر عليهم أحد .

وكم عثر فى الاستقلال على جثث مثل هؤلاء الضحايا المعدومين هنا وهنالك في نواح كثيرة من الوطن ، وما يزال

يكتشف من حين إلى حين رفات القتلى من ضحايا البغي والطغيان .

هكذا اغتيل أديبنا الشهيد أحمد رضا حوحو في تلك الليلة الليلاء على يد المنظمة الارهابية السرية (اليد الحمراء) ، ولم يعثر على جثمانه ، ولا أحد يعرف كيفية استشهاده ، غير أن هنالك من يروي أن الذي اعتقله هو الشرطي الخائن المعروف باسم الداودى ، أخرجه من داره في تلك الليلة وأخذه في نحو (13) شخصا الى قرية (الهرية) ، وأعدموهم هنالك ودفنوهم ، وأن هذا الشرطي الملعون أعدمه الفدائيون بعد ذلك .

وكان الفقيد قد اعتقل قبل هذه الحادثة بحوالى شهر ، وعذب تعذيبا منكرا ، ثم هدد تهديداً صريحا ـ كما يروى أحد أصدقاء حوحو نقلا عنه ـ بأنهم سيعتبرونه مسؤولا عن أي حادث يحدث بالمدينة ، وان جزاءه سيكون حينئذ الإعدام (1) ، ومن ذلك اليوم بقي ينتظر مصرعه على أيديهم . ولا سبيل له في الفرار ، فهو مراقب في شبه إقامة جبرية .

رحمه الله رحمة واسعة ، وهنيئا له الشهادة والنعيم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

(1) رويت هذا الخبر عن الأستاذ الشيخ أحمد حماني .

إنتاجه وآثاره

لأديبنا عدة آثار كتابية ، منها المطبوع وغير المطبوع الذى ما يزال مخطوطا ، زيادة عن إنتاجه الصحفي المتنوع الذى أشرت اليه سابقا في نشاطه الأدبي وسأتعرض لتعداد آثاره والتعريف بما أعرف منها بشيء من التفصيل فيما يلى :

1 ـ **غادة أم القرى** هذه باكورة تأليفه ، كتبها عندما كان مقيما بالحجاز ، ولم تطبع إلا فى سنة 1947 بالجزائر ، وهي قصة طويلة أو رواية متوسطة ، تتناول وضعية المرأة العربية في الحجاز وما تعانيه من حرمان الحب والعلم والحياة ، وأهداها إلى المرأة العربية فى الجزائر ، التى لا تبعد عنها كثيرا في وضعها الاجتماعي العام . قصتها واقعية بأحداثها وأشخاصها ، أو مستوحاة من واقع محسوس معاش شاهده حوحو فى ذلك الوسط المغلق المحبوس فى

تقاليده وأعرافه من أقدم وأحط عصور الجهل والجمود والتخلف .

وقد أمضى أديبنا شطراً مهما من شبابه ـ كما أسلفت في أول هذا البحث ـ في ذلك الوسط وتلك البيئة مكنه من أن يعطي رأيه فيه بصدق وصراحة .

2 ـ **مع حمار الحكيم** المطبوع سنة 1953 بقسنطينة ، وكان انطلاق موضوع هذا الكتاب من كتاب آخر للكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم ، يحمل عنوان (حمارى قال لى) . يجري حوحو الحوار في هذا الكتاب (مع حمار الحكيم) الذي يتخليه زائرا متجولا فى الجزائر ، ويجعله مفكرا فيلسوفا يتعجب من بعض أوضاعنا الاجتماعية والسياسية السائدة ، فيتصل به أديبنا حوحو ، ويتناقش واياه فى قضايا ومشاكل الساعة ، وفى شؤون سياسية واجتماعية وفكرية هامة ، كفيلسوف من كبار الفلاسفة . مما يدل على إعجاب حوحو وافتتانه بكتاب الكاتب المصري توفيق الحكيم (حماري قال لي) ، وتأثره به وبمعظم آثار توفيق الحكيم .

3 ـ **صاحبة الوحي وقصص أخرى** . المطبوعة سنة 1954 بقسنطينة ، وهي مجموعة قصص قصيرة ذاتية واجتماعية مختلفة المواضيع ، لا يتصل بعضها ببعض كما في الكتابين السالفين . بل كل قصة منها مستقلة عن غيرها ،

يلعب فيها الحب العفيف النظيف أكبر دور ، أو هو المحور الاساسي فيها ، كتبها كما قال (في فترات متباعدة وظروف مختلفة) ، لعل بعضها فى الحجاز وبعضها فى الجزائر .

4 ـ **نماذج بشرية** : طبعت سنة 1955 بتونس كحلقة في سلسلة (كتاب البعث) الشهرية ، التي يشرف على اصدارها الكاتب التونسي المعروف أبو القاسم كرو ، تحتوي هذه النماذج على عدة أحاديث وأقاصيص وخواطر وذكريات ، حول أنماط من الناس عرفهم الكاتب ، ينطبق عليهم تماما عنوان (نماذج بشرية) ، وهو كتيب لطيف ـ كصاحبه ـ في حجمه ومحتواه .

5 ـ **مسرحياته** أعلن عن مسرحيات له وتمثيليات مثلث بالفعل في إذاعة الجزائر أو في بعض المسارح الجزائرية ، مثل المسرح البلدي بقسنطينة ، والمسرح الوطني بالعاصمة (الأوبرة) .

ومن هذه المسرحيات : (عنبسة) و (البخلاء الثلاثة) و (بائعة الورد) وغيرها ، ولم يتح له طبعها لسبب أو لآخر ، ولكن مجلة المسرح الجزائري التي تحمل عنوان (الحلقة) نشرت له مسرحية (عنبسة) في عددها الأول الصادر بتاريخ أبريل سنة 1972 ، أي بعد موت حوحو بخمسة عشر سنة

بمناسبة إعادة تمثيلها من جديد في المسرح الوطني بالعاصمة لإحياء ذكراه بها .

6 ـ **وله روايات وتمثيليات** بالفصحى السهلة المبسطة التي تفهمها العامة ، أو بالدارجة المهذبة القريبة من الفصحى ، كان يؤلفها لفرقة (المزهر القسنطيني) بالخصوص الذي كان على صلة وثيقة به وبرئيسه الدكتور ابن دالي ، بل كان هو إكسير حياتها .

قد تتعدد أسماء مسرحياته التي يعلن عنها في الصحف والنشريات ، فكلما هموا بتمثيل رواية أو مسرحية أعطوها عنوانا ، فإذا أعيد تمثيلها سنة أخرى أعطوها عنوانا آخر لا يخرج عن مضمونها ، مثل : (سي زعرور) تارة و (النائب المحترم) تارة أخرى ، ومثل : (البخيل) مرة و (سي شعبان) مرة أخرى ، وهكذا : (المأمون) أو (صنيعة البرامكة) أو (ابن الرشيد) الخ ....

فيحسب الناس أن النص نصان أو ثلاثة ، والعنوان عنوانان أو ثلاثة ، لمواضيع مختلفة بينما الموضوع واحد وإنما تعددت أسماؤه وعناوينه ، لسر من أسرار المهنة التي يتقنها التجار والفنانون ، وقاعدتهم في ذلك : أن لكل جديد لذة ، وإن كان هذا الجديد لا يتعدى الاسم والعنوان .

7 ـ **نشاطه الصحفي** كان للأديب حوحو نشاط صحفي هام متنوع كما أشرت من قبل ظهر في الجزائر بالخصوص في جريدتي : (البصائر) لسان حال جمعية العلماء وعامة المثقفين ، وجريدة (الشعلة) لشبيبة العلماء وعامة الشباب والشعب ، وكان الأستاذ حوحو يرأس تحرير (الشعلة) من يوم بروزها إلى أن توقفت في العدد (45) أي طيلة سنتين وبضعة شهور (من سنة 1949 إلى سنة 1951) ، هذا عدا ما نشره في مجلة (إفريقيا الشمالية) الشهرية أو جريدة (المنار) الأسبوعية ، أو ما نشره في المشرق العربي قبل عودته من الحجاز ، وخاصة في مجلة (المنهل) السعودية المكية ، كما أسلفت في صدر الكلام .

ومقالاته في (البصائر) أهم وأرقى من مقالاته فى (الشعلة) مثلا لغة وأسلوبا ، أما مواضيعه في الشعلة وإن تنوعت واختلفت طريقة وأسلوبا وحتى محتوى عن تلك التى فى البصائر أو في غيرها ، فقد تنازل فيها إلى مستوى قريب من مدارك العامة والدهماء . وتمتاز بالاختصار والبساطة والتنوع والسرعة فى الوصول الى الهدف الذي يريد ، بينما مقالاته فى البصائر مثلا نجدها أرفع مستوى وأعمق معنى وأرشق أسلوبا مما يكتبه في الشعلة .

فالاستاذ حوحو يتصرف فى أسلوبه وفى موضوعه كما يشاء ، يراعي فيه مستوى كل صحيفة وقرائها ؛ (فالبصائر)

مثلا لسان حال هيئة العلماء وخيرة مثقفي العربية ، مستواها غير مستوى (الشعلة) لسان حال الشبيبة من تلاميذ العلماء وتلاميذ تلاميذهم ، وهذه انتقادية شعبية بالدرجة الأولى ، لاتتورع فى نقدها حتى عن السباب والشتم اذا لزم الامر ، بينما الأولى متزنة محافظة ، تلتزم السلوك الاسلامي والخلق المثالي ، الذى يتناسب وطبيعة الهداة المرشدين ، والدعاة المصلحين .

وبينما الشعلة جماهيرية شعبية تهتم بالكادحين والمنحرفين تخاطبهم بما يفهمون ، اذا بالبصائر مترفة مترفعة عن ذلك ، أو محافظة مترمتة ، تكتب لطبقات معينة بأساليب معينة تناسبها وتناسبهم ، والعجيب في حوحو أنه يتكيف مع هذه وتلك .

8 ـ **الشعر الهزلي الساخر** . وللاستاذ حوحو براعة خاصة فى هذا النوع من الادب ، الفصيح منه والدارج ، تراه يقلب الشعر الجاد الهادف إلى شعر عابث ساخر ببراعة فائقة ، غير أنه لا ينشر شيئا من هذا النوع ، حفاظا منه على روح التحفظ السائدة إذ ذاك فى الأوساط الاصلاحية التي ينتمي اليها ، ويعمل فى ميادينها . لكنه كان ينشد منه نماذج بين محبيه وعارفى أدبه بين الفينة والفينة فى مجالس ومناسبات خاصة ، ترويحا للنفس من عناء الجد والعمل

الدائب . تفكها وتندرا مع الخلان والأقران ، مثله في ذلك مثل كبار الأدباء والعلماء الاجتماعيين المتفتحين الذين قرأنا عنهم فى التاريخ ، وعرفنا منهم فى بلادنا وفى عصرنا أمثال : الابراهيمي والعمودي رحمهم الله جميعا (والمؤمنون اذا خلوا صبوا) .

9 ـ **الشعر الملحون** ولأديبنا حوحو محاولات متكلفة في الشعر الشعبي (الملحون) غير ناجحة ، كان ينشرها في جريدة (الشعلة) في ركن (تحت السباط نغني) ، تارة بإمضائه أو بإمضاء (شاعر الشعلة) ، وتارة بتوقيع آخر أو بلا توقيع ، انتقدهافحول الشعر الملحون إذ رأوها ناشزة عن أذواقهم ، غير مراعية لموازينهم وقواعدهم ، التي يجهلها حوحو بطبيعة الحال ، وقالوا له ناصحين : دع عنك هذا الميدان للفحول من رجاله ، واشتغل بالميادين التي أنت فحل فارس مبرز فيها .

يبدو أن الاستاذ حوحو فتح أبوابا دائمة فى جريدة الشعلة التى يتولى رئاسة تحريرها فكلما خلا ركن أو باب من الكتابة فيه سده بما تيسر له مما هو من طبعه وطاقته أو خارج عن طوقه وذوقه ، والضرورات لا تبيح دائما المحذورات ، لذلك وقع رحمه الله في هذه العثرات .

ولكنه كصحفي كان يعتبر ثالث ثلاثة من صحافيينا الأدباء الناجحين الموهوبين فى هذا الفن الصحفي : الزاهري ، والعمودى ، وحوحو ، وليس كل من تعاطى الصحافة صحافي ولو أفنى عمره فيها .

هذه أنواع إنتاج أديبنا الراحل ما طبع منه وما لم يطبع فيما أعلم ، ويتمثل معظم نشاطه فى القصة والأقصوصة ، وفي الرواية والمسرحية ، ثم في المقالة الصحفية ، فأكثر انتاجه كان فى كتابة القصص القصيرة والمسرحيات (التي يسميها روايات) ذات الفصلين والثلاثة ، وتأتي بعدهما المقالة الأدبية ، وهي ذات أشكال وأنواع ، والمسرحيات كان يكتبها بالفصحى السهلة أو بالدارجة المهذبة ، وما عداها فكله كان يكتبه بالفصحى .

إلقاء نظرة عامة على انتاجه وآثاره :

لعل هدف الاستاذ أحمد رضا حوحو فيما كتب وقدم من قصص وتمثيليات بالخصوص ، هو محاولة اصلاح بعض العادات الاجتماعية الفاسدة المتواطأ عليها من قبل عامة الشعب في الحجاز وفي الجزائر ، والثورة على واقع متخلف كبله الجهل والجمود والخرافة والدجل حتى بقي المجتمع يرصف في تقاليد بالية ومفاهيم ما أنزل الله

بها من سلطان ، عاقته عن العمل الجاد والانتاج المثمر ، وشلت طاقته عن الخلق والابداع ، في ذلك العهد الاستعماري البغيض .

فحوحو من هذه الناحية مصلح اجتماعي في أدبه ، مساير للحركة الاصلاحية في بلده ، وناقد بصير بعيوب المجتمع وأمراضه ، خدم شعبه وبلاده بقلمه في قصصه وتمثيلياته كما خدمه الواعظ المرشد بلسانه في خطبه وبيانه ، والامام في منبره ، والمدرس في كرسيه .

وكثيرا ما كان يركز على المرأة باعتبارها الركيزة والدعامة لكل مجتمع ، فهي المدرسة الأولى للاجيال كلها ، في كل عصر ومصر . فيتناول حبها وزواجها وتعليمها ومعاملة الناس لها وغير ذلك مما يراها مظلومة فيه أو مغبونة ، ولم تأخذ حقها كاملا في الحياة كأخيها الرجل .

فهي عند حوحو مخلوق مغلوب على أمره ، مسلوب الحرية والكرامة ، لذلك تجب مناصرتها والدفاع عنها والاخذ بيدها . وكثيرا ما سمعته يقول عنها : هي في رأي الرجل عندنا (مجرد معمل للتفريخ) ..... أو (عامل بسيط لخدمة البيت) أو هي (لعبة الرجل ودميته) كما يعبر عنها بعض الأدباء والمفكرين .

وقد يترك المرأة ليعالج قضايا اجتماعية أخرى أهم وأعم ، كالتفاوت الطبقي في بعض الأوساط من مجتمعنا ، نرى ذلك في قصصه : (غني الحرب) و (الفقراء) مثلا . أو الأدب والأديب في المجتمع ، كما في قصة (أدباء المظهر) ، أو نزوات الشباب كما في (فتاة أحلامي) ، أو النفاق الاجتماعي كما في (صديقي الشاعر) .

وهو في ذلك كله يكتفي بالتصوير السريع واللمحة الدالة والاشارة اللطيفة ، والنكتة البارعة ولا يطيل ، وفي رشاقة ولباقة . لذلك كانت قصصه من النوع القصير ، ورواياته (كما يسميها) من النوع الاقصر . وقد صنفها بعض الناقدين في صف القصص القصيرة وهي كذلك . وكلها هادفة كما رأينا فليست لمجرد التسلية والترفيه أو تمضية الوقت كما قد يظن البعض لأول وهلة . تتسم روحه فيها بالخفة والمرح ، وسلامة الصدر ، ولطف المأخذ وبالعبارة السهلة الرشيقة في الأكثر ، وأسلوبه فيها خال من التكلف والتعقيد اللفظي والعمق المعنوي ، وهو إلى البسيط السطحي في الغالب أقرب منه الى التعمق والتأنق ، فالبساطة والسهولة هما ميزته في كتاباته ، وهو ما يهواه المتأدبون وصغار المثقفين لأن حوحو يتجه في كتاباته إلى عامة الناس ، أكثر مما يتجه بها إلى خاصتهم .

• • •

ولكي لا يبقى رأيي وحيدا في الموضوع ، أرى أن أضع أمام القارىء المهتم نماذج من انتاج حوحو المتنوع ، سواء من تآليفه أو من مقالاته ، لاشرك القارىء الكريم في إعطاء رأيه هو الآخر فيها ، بعد الاطلاع عليها . وقد اكتفيت فيما يخص المقالات ببعض ما نشر له في (البصائر) دون سواها ، لتوفرها عندي وعدم توفر غيرها .

ثم أردف ذلك بآراء بعض أدبائنا من كتاب وباحثين في أنواع انتاجه ، وأختم هذه الفذلكة عن حوحو وإنتاجه بأنواع الاهتمام التي خصي بها دون سواه من مناضلي الكلمة في الجزائر ، والله الموفق .



فرقة «المزهر القسنطيني» للموسيقى والتمثيل ، ويظهر في الصف الأول من الجالسين رئيس الفرقة الدكتور بن دالي ، ومديرها الفني الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو

نماذج من انتاجه

1) ـ فاتحة قصة (فتاة أحلامي) :

كان زملائي في الجامعة شديدي الولوع بمغازلة الحسان تلك المغازلات البريئة في الشوارع أيام الآحد ، وفي دور الصور المتحركة ، حتى إذا ما أقبل المساء بظلامه الدامس انطلقنا الى الجامعة منهوكي القوى من تعب التجوال والركض في جميع أحياء المدينة ، حيث نجلس على المائدة نتناول طعام العشاء في ضوضاء وجلبة ، اذ يغدو كل منا يقص مغامراته ويطرى خططه ومناوراته لاقتناص الفتيات ، بعد ما يضيف اليها ألوانا من الخيالات يقتبسها غالبا من أقرب فيلم سينمائي شاهده .

وكنت الوحيد من بين الطلبة الذي يصغي بامعان الى مغامرات زملائه ، دون أن يستطيع مشاركتهم في أحاديثهم وعجبهم وزهوهم ، وكنت أجد في ذلك ألما وحسرة ،

ولكن ماذا عساني أن أفعل .... فان الحظ لم يسعفني ولو مرة واحدة بفتاة تفسح أمامي مجالا للكلام والفخر والزهو أمام زملائي ، حتى إني كنت عندما أسأل عما لاقيته من مسرة في هذا الاحد أفر مسرعا أخفي خجلي وخمولي بعيدا عنهم ، وأندب حظي العاثر .....

وكانت أيام الآحاد (وهي الايام الوحيدة التي يفسح فيها لطلبة القسم الداخلي بالخروج) تمر سراعا بدون جدوى ، فكنت كل يوم ألاحق ذي من بعيد ، وأطيل النظر الى تلك حتى اذا ما رشقتني بنظرة عابرة فررت مضطربا مرتجفا .... فهل كنت أخشى المرأة ؟ ... هذا ما لازلت أجهله .... والحقيقة اني لم أكن شابا جريئا مثل زملائي ، وإن كنت أبدو ظريفا شديد التأنق ، كأنني بضاعة بائرة ، أقف في طريقهن منتظرا أن تتعثر في أحداهن فتلتقطني وتجعل مني (دون جوان العصر) . ولكن وياللاسف طال انتظاري دون أن أجني أية فائدة ، وخيل إلي أن جميع فتيات المدينة الجميلات منهن والدميمات أضربن عن مغازلتي وأبرمن اتفاقا بذلك ....

كنت لا أفتر من التفكير في (فتاة أحلامي) .... وكثيرا ما يمر الدرس بأكمله ، وأنا غارق في بحور الاحلام ، شارد الفكر ، أبحث عنها في عالم الخيال الفسيح فلا

أجدها ولا أهتدي اليها ، وحصل لي مرارا ـ وأنا على المائدة ـ أن أستغرق في تفكير عميق ، وأغدو أضع الخطط والمناورات لاقتناصها ، حتى إذا ما استقر رأيي على الخطة الناجعة وارتحت إليها ، وأزمعت تنفيذها يوم الأحد المقبل ، وأقبلت على الطعام بسرور وشهية ، لم أجد في الصحن شيئا ، إذ اقتسمه زملائي والتهموه ، وغدوا يطرون قدرتي على التعمق في التفكير ، ويخلعون علي ألقاب الفيلسوف بسخاء ، ويؤكدون أن الفلاسفة يتغذون من ثمرة أفكارهم .... فأقوم خاوي البطن وأصبر على مضض إلى أن تحين وجبة العشاء .

ورغم هذه التضحيات العظيمة التي كنت أبذلها في سبيل خططي ، لم أقوَ ولوْ مرة واحدة على تنفيذ إحداها فقد كانت تخونني الشجاعة وتنقصني الجرأة دائما أبدا .

2) ـ من بداية (رحلته إلى الأتحاد السوفيتي) :

شغفت كثيرا ومنذ عهد بعيد بالاطلاع على ما يجري في ذلك العالم الجديد : (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية) ، فطالعت كثيرا مما أخرجته المطابع العربية والفرنسية على السواء ، من كتب وصحف بقلم أعداء تلك البلاد وأصدقائها حتى توهمت نفسي في صفوف المطلعين على النظام الاشتراكي المطبق هناك ، وحتى خلت نفسي

حجة في فهم تلك الديار وما يجرى فيها من ضروب الحياة والعمل والسياسة ، ولكن حينما حللت هناك وحاولت أطبق معلوماتي على الواقع ، وجدت فى مخيلتى صورة مشوهة متضاربة الآراء والافكار ، متأثرة بإعجاب المعجبين وانتقاد الناقمين ، وجدت عالما جديدا لا يمت إلى العالم الغربي المادي بصلة ، وجدت عالما جديدا في تفكيره ، جديدا فى وضعه ، جديدا في نظمه ، جديدا في سير حياته وأعماله ، حتى أن مدلول بعض الكلمات في تلك الديار غير مدلولها عندنا ، فهم يعيشون في نظامهم الاشتراكي العجيب ، ونحن متأثرون بنظام الرأسمالية وأخلاقها وحياتها ، فلا غرابة إذن إذا ما وجدنا كل صغيرة من حياتهم غريبة تستدعي البحث والاهتمام ، فكثيرا ما كنا نسأل عن مسألة تبدولنا هامة واذا بها مسألة تافهة عندهم لا تستحق الاهتمام والبحث ، وهكذا قضينا أربعة وعشرين يوما في تلك الربوع عامرة بالمشاهدات والزيارات والبحث والتنقيب .

ويكفي القارئ أن يعلم أننا كنا نبتدئ العمل من التاسعة صباحا الى الثانية من صباح الغد ، تتخللها فترات قصيرة للاكل ، وبهذا أمكننا أن نطلع على عدد وافر من المنظمات والمؤسسات والمعامل والمزارع والمدن والقرى والمعابد وغير ذلك .

وكانت المسافة التي قطعناها في الذهاب والاياب بلغت سبعة وعشرين ألف كيلومتر ، وبلغت الساعات التي قضيناها فيها على متن الطائرة وحدها أثنين وسبعين ساعة عدا القطر والبواخر والسيارات .

وفد افريقيا الشمالية هكذا كانت تسمى جماعتنا المكونة من عشرة أشخاص من أقطار مختلفة ، وأديان مختلفة ، ومبادئ سياسية واجتماعية عديدة ، فهذا طبيب من تونس ، وهذا كاتب نقابة من وهران ، وهذا فلاح من المغرب ، وهذا صفحي ، وهذا إسرائلي ، وهذا مسيحي ، هكذا اجتمع هذا الخليط العجيب ، فكون وفد افريقيا الشمالية الذي لا تجمعه إلا رابطة حب الاطلاع على تلك الدنيا العجيبة التي تقع فى ذلك العالم الثاني المنعزل عنا .

كان ذلك يوم 19 أوت 1950 على الساعة الثامنة ، حيث تحركت بنا الطائرة من مطار أورلي بباريس ، وبعد رحلة ممتعة مريحة فى طائرة (إير فرانس) وصلنا مدينة (براغ) عاصمة تشيكوسلوفاكيا على الساعة الحادية عشرة والنصف ، وبعد إجراءات الجمرك والجوازات توجهنا إلى فندق (سبلنديد) حيث تناولنا الطعام وأخذنا قسطا من الراحة ثم توجهنا الى المدينة ، وكانت فى شبه عيد حافلة بوفود

المؤتمر العالمي للطلبة ومؤتمر السلام وكان الشعب محتفيا بهذه الوفود ، فقامت منظمات الشباب المختلفة باعداد حفلات متنوعة البرامج والالعاب من موسيقي وأغاني ورقص شعبي وتمثيل هزلي ، وكلها في الهواء الطلق ، في ملاعب رياضية واسعة ، وحدائق فسيحة حولت مسارح ، فهؤلاء جماعة من البولونيين بملابسهم القومية المزركشة يرقصون رقصة (الكاركوفا) العجيبة المشهورة ، وهؤلاء كشافة براغ يقدمون رواية هزلية انتقادية ، وقد لفت نظري رواية يسخرون فيها من محطة لندن ، وكيف أن المتكلمين من تلك المحطة باسم البروفسور فلان والعالم فلتان ، هم عبارة عن نكرات يجمعون من هنا وهناك ، تعد لهم تلك الأبحاث فيقرأونها أمام المذياع مقابل دريهمات معدودة .

3) - من حديثه (مع حمار الحكيم) :

أنتهيت من مطالعة لذيلة لكتاب (حماري قال لى) لتوفيق الحكيم ، واستلقيت في مقعد مريح بالنسبة إلي أنا الذي قضيت ثلاثين حجة من حياتي بين مقاعد الدراسة ومقاعد العمل ، وكلها لا تمت الى الراحة واللين بصلة قريبة ولا بعيدة . ثم استغرقت في تفكير عميق محاولا هضم ما قرأت وما هي الا دقائق حتى أغفت عيناي ، وألقى علي

الكرى رداء أسود خفيفا ، ورأيت فيما يرى النائم اليقظ حمارا صغيرا لطيفا تبدو عليه علامات الذكاء والفطنة ، يطل علي برأسه من وراء مقعدى ، فعرفته على الفور دون اشكال أو عناء ، فقد كان حمار توفيق الحكيم برأسه وأذنيه .

فقلت له : أنت حمار الحكيم فقد عرفتك ، فافترت شفتاه الغليظتان عن ابتسامة عريضة وقال : - عرفتني هكذا بسهولة دون إشكال ؟ فقلت نعم ، فإن معالمك لم تخف علي . قال : فأنا مشهور إذن في بلادكم ؟ قلت دون شك ومن يجهل حمارا فيلسوفا مثل حضرتك ؟

حرك الحمار الفيلسوف اذنيه الطويلتين ثم قال :

- إنك لم تخطىء ، فقد لاحظت كثيرا من الحمير يتمتعون بشهرة كبيرة في هذه البلاد . قلت : وما سبب هذه الزيارة يا ترى ؟ قال : استدعيت لأغني في محطة الإذاعة الجزائرية .

قلت : تغني في الأذاعة ؟ ياللعجب ! قال : وما وجه العجب ؟ فان صوتي جميل ، هل تريد أن أسمعك شيئا مجانا دون مقابل ؟ قلت : لا . لاعدمتك ، ولكن أليس صوتك هوالذي ذكره الله في القرآن ؟

فكشر الحمار عن أسنانه ضاحكا ثم قال : سوف لا تخسر شيئا ، فإن لم يعجبك صوتي فما عليك إلا أن تدير لولب الجهاز بعنف كما أعتدت تفعل .

وأردت أن أغير مجرى الحديث خوفا من أن يذهب به الحماس الى رفع عقيرته بالغناء ، فقلت له : كيف فارقت صاحبك ؟ قال من تعني ؟ توفيق الحكيم ؟ فقد ضقت ذرعا بهذا الرجل ، لانى كلما وضعت برنامجا اصلاحيا الا وقام بافساده علي ...

... (ثم ينتقل بهما الحديث الى مشاكل الحياة فيجري الحوار بينهما هكذا بشيء من الاختصار) ......

قال الحمار : ما عليك الا أن تشرح لي أية مشكلة من مشاكلكم ، وسأفيدك برأيى فيها . قلت : إن مشاكلنا كثيرة ، وحياتنا معقدة ، ولكن لا بأس أي موضوع تريد أن نبحث ؟ ... قال نتكلم في السياسة . قلت : دعني من السياسة .... إنها لم تنضج في بلادنا ، ولازالت تعتمد على المصالح الشخصية ، والحزازات الفردية أكثر من اعتمادها على المبادئ والافكار ، والمصلحة العامة ، وأنا لا أريد أن ألطخ نفسى بأوحالها .

حك الحمار قذاله برجله وقال : هل تريد أن نطرق موضوع المرأة ؟

قلت : كن مرتاحا من هذه الناحية فلا وجود للمرأة في بلادنا .

قال : عجبا تعيشون بدون نساء وكيف تتناسلون ؟

قلت : لدينا آلات للنسل نحتفظ بها في بيوتنا .

قال : هذه مشكلة عويصة دعنا من هذه ، فلنبحث في الفقه فأن لي فيه آراء جديدة لا تخلو من فائدة . قلت : أرى أن تحتفظ بها لتحدث بها فقهاءنا علهم يستفيدون منك شيئا جديدا . قال : والتعليم ؟ قلت هناك التعليم الرسمي ، وهو تعليم مبني على قاعدة : تعلم لتجهل ....

قال : عجبا يتعلم ماذا ؟ ويجهل ماذا ؟ فإني لا أكاد أفهم شيئا .

قلت : متضجرا : وأنى لك أن تفهم فلسفتنا ؟ وأردفت قائلا :

وأما التعليم الحر فإن له لجنة عليا ، تستطيع أن تتصل بها لتقدم لها آراءك ومقترحاتك .

قال وهل يروقك حديث الأدب والفنون ؟ قلت

— لا أدب ولا فنون ، ولا صحافة ولا كتب ، ولاهم يحزنون ، فضحك بملء فيه وقال :

_ إنك لرجل متشائم ، ولكن لابد من طرق أي موضوع ، فلنتكم في الاقتصاد ، قلت :

_ أما رجال المال والتجارة فإنهم لا يضيعون أوقاتهم المادية الثمينة في قراءة مهاتراتنا ، وأما القراء فانهم لا يملكون ما يشترون به ما يريدون مطالعته ، وهم في غنى عن خبرتك الاقتصادية .

قال : لقد أعياني البحث معك ، اقترح أنت موضوعا نتباحث فيه مليا . قلت الفقر أو الجهل .

قال : مشمئزا إن فلسفة الحمير لا تتنازل الى هذه الأمور الحقيرة ، ثم ألقى نظرة على ساعته في رجله وصاح :

_ لقد حان وقتي ولم نصل إلى نتيجة ، فأستودعك الله والى اللقاء .

واستيقظت من غفوتي ، وبحركة آلية فتحت جهاز الراديو ، واذا بصوت مزعج ينطلق منه .... قلت : من ؟ حمار الحكيم هل هو الذى يغنى ؟...

(من كتاب مع حمار الحكيم لحوحو (صفحات 12 _ 17)

4) _ كلمته في المؤتمر العالمي للسلام بباريس :

حضرات السادة ، حضرات السيدات . لى الشرف العظيم أن أتقدم بين أيديكم باسم الجزائر ، وباسم الشعب الجزائري أجمع : مسلمين وأوربيين ، رجالا ونساء كبارا وصغارا ، لاقدم تحيته الخالصة الى هذا المؤتمر الاممي العظيم ، الذي عقد لتوطيد السلم ، هذا المؤتمر الذي عقد ليجعل _ بالاتحاد _ من ضعف الفرد قوة عظيمة قوة لا تغلب ، يحطم بها هذا الوحش الضاري ، هذا الوحش الفتاك الذي يسمونه الحرب .

ليس لهذا المؤتمر من قوة سوى قوة اتحاد الشعوب ، وليس لهذا المؤتمر من قوة سوى إرادة الشعوب ، واتحاد الشعوب وارادتها قوة لا تغلب، وعرو ة متينة لا انفصام لها ، تقف الجزائر فى هذا المؤتمر لتمد يدها الى جميع الشعوب المسالمة الى جميع الامم التي تعشق الحرية وتهيم بها وبالأمن ، مهما اختلفت ألوانها وعناصرها وتتقدم بخطوات ثابتة لتقف بجانبهم وتدافع في صفوفهم بكل ما أوتيت من قوة عن الحرية أولا وعن السلام العام ، أقول : الحرية وأكررها ، لان الحرية والسلام شيء واحد لا يقبل القسمة ولا يحتمل التجزئة .

ان الجزائر التي تعاني من ضغط الاستعمار واضطهاده ، الجزائر التي تعاني ما تعاني من حرب الاستعمار بها : محاربة الاسلام ، محاربة اللغة العربية ، إغلاق المدارس العربية العديدة ، وضربها بالقوانين الجائرة ، لا شيء سوى تضخيم هذا الجيش من الاطفال المتشردين وحرمانهم من نور العلم والثقافة ، إن الجزائر التى تتجرع كل يوم ويلات الحرب بشتى الوسائل لمتطلعة الى السلام ، لا تريد أن ترى بعد اليوم دماء أبنائها تسيل منهمرة ، لاتريد أن ترى بعد الآن دموع الثكالى دموع الأيامى ، دموع اليتامى ، تجرى حارة في سبيل تضخيم ثروة المثرين ، وتوسيع أراضى المستعمرين ، فى سبيل الشهوات الجائعة ، شهوات الرأسمالية التى لا يشبعها شيء ، فهي كالجحيم تقول دائما : هل من مزيد ؟ هل هل من مزيد ؟ .

ولهذا فإن الجزائر لا تحتج على الحلف الاطلسي فحسب وإنما ترفضه رفضا باتا . إن الجزائر تريد الحرية والسلام لجميع الشعوب ، فلا غرابة فى أن تريد الحرية والسلام لنفسها ، فهي تَمُدُّ يَدَهَا لكل من يريد لها (كما يريد لنفسه) أن تعيش حرة آمنة وتموت حرة آمنة .

جريدة (البصائر) عدد 79 السلسلة (2) سنة 1949 م .

من مقالاته في البصائر

5 ـ خواطر حائر (الفقراء) : أمعنت النظر في هذه الحياة الملأى بالرذائل والشرور ، فتحيرت وتألمت فجاشت نفسي بخاطرة قدمتها إلى القراء في العدد الماضي من (البصائر) ـ وكانت بعنوان (السعادة) ورأيت اليوم أن أنفس عن نفسي بعض همومها وأن أخفف عنها آلامها ، فهرعت الى المطالعة سلوتي الوحيدة في هذه الحياة

وامتدت يدي ـ دون أن أشعر ـ الى كتاب ، واذا به (سير الدهور لهيجو) أخذت أتصفح الكتاب دون ترتيب أو نظام الى أن طالعنى هذا العنوان (الفقراء) دعنى أعش اذن مع الفقراء برهة من الزمن ، فإني لا شك واجد بينهم شيئا من الراحة والطمأنينة .

قرأت (الفقراء) لهيجو وكانت نفسه تطالعنى من بين السطور تقطر حيرة وألما ، وما هي الا فترة حتى أختلطت حيرتي بحيرته ، وآلامه بآلامى فأسرعت الى يراعي أكتب عن الفقراء بالعربية ما كتبه عنهم (هيجو) بالفرنسية ، وليس ما أكتبه اليوم بالترجمة ، ولم يكن كذلك بالابتكار ، وإنما هو مزيج نفسين بائستين ، تألمت إحداهما منذ قرون وتحيرت الأخرى اليوم ، أملت الأولى

وكتبت الثانية . فجاءت هذه الخاطرة التي أقدمها للاغنياء ، وأنا واثق من أنهم لن يتخذوا منها عظة وعبرة وأنى لنفوسهم أن تتعظ أو تعتبر وقد أفقدتها الشهوات السمع والبصر.

كانت أسرة هذا الحوات الفقير تتكون من سبعة أشخاص : الام والاب وخمسة أطفال صغار لاحول لهم ولا قوة ، وتقطن هذه الأسرة البائسة كوخا أقيم على شاطيء المحيط يقيهم شرور العواصف الهوجاء ، ويحميهم لذعات صرها وقرها .

كان ظلام الليل الدامس مخيما على هذا الكوخ الفقير المغلق الأبواب ، ورغم حلوكة الليل يستطيع الشخص أن يتبين محتويات هذا المسكن التي هي عبارة عن سرير خشبي كبير أبلاه القدم ، مسدولة عليه ستائر طويلة بادية التمزيق ، تمدد فوقه خمسة أطفال صغار ، غارقين في نوم عميق ، وقد التف بعضهم ببعض ، وفي طرف الكوخ مدفأ كبير تستعر فيه بعض الأحطاب الملتهبة يعلو نورها الى السقف وينعكس على وجوه النائمين الصغار ، فيختلط بنور البراءة والطهر الذى أنبثق من قلوبهم الصغيرة الفاضلة ، وقرب السرير امرأة في ثياب رثة ، مصفرة الوجه نحيلة الجسم ، يلوح عليها أثر البؤس والشقاء ، وتبدو

عليها بوضوح علامات الضنك والعناء الشديد ، كانت جاثية على ركبتيها ، غارقة في بحر من التفكير ، ترفع طرفها كل آن الى ربها ، تدعوه ليعينها ، وترجوه تخفيف بؤسها وشقائها . لم تكن هذه المرأة سوى والدة هؤلاء الصغار ، فهي وحيدة في المنزل مع صغارها ، ترتجف كلماطرق سمعها رغاء المحيط الذي كان غاضبا مزبدا يرسل أصوات أمواجه ، فتختلط بأصوات الرياح ، فتغدوشيئا مزعجا يملأ الفضاء كأنه أصوات الشياطين .

ورب هذه الاسرة الفقيرة يخوض عباب المحيط الهائج ، ويكافح عواصفه الهوجاء التى ترسل عليه وابلا من المطر تارة ، وتنفخ في وجهه عاصفا من الريح تارة أخرى . وكان حتما على الوالد المسكين أن يخوض بمركبه الصغير كل مساء هذا اليُمّ الخضم الفتاك مكافحا مناضلا مخاطرا بحياته في سبيل التحصيل على القوت الضروري لصغاره الجياع ، بينما الأغنياء المترفون يبددون الذهب دون حساب ، حيث يقيمون منه صروحا شامخة تمرح فيها الرذيلة وتلعب . والفضيلة تئن في هذا الكوخ الفقير تسكب عبراتها على أبنائه البررة .

تقدم الليل واشتد الظلام وضاعف المحيط الهائج زئيره ، والرجل لم يعد من رحلته ، وزوجته في حيرة

وقلق تدعو له بالنجاة ، حتى اذا اشتد خوفها عليه وزاد قلقها ، خرجت الى الشاطئ تتطلع وتنتظر : مرت في طريقها بكوخ أرملة مريضة فقيرة تعيش بالقرب منهم مع طفليها الصغيرين ، ورأت من واجبها أن تلقي نظرة على هذه الجارة التي تربطها بها أقوى الروابط وأمتنها وهي رابطة البؤس ، فتقدمت نحو الباب وطرقته فلم يجبها أحد ؛ ففتحته ودخلت وهي على أطراف أصابعها خشية ايقاظ النائمين ، وما كادت تتقدم بضع خطوات حتى رأت منظراً رهيبا وقفت أمامه مشدوهة ، فقد وجدت هذه الأرملة ممدودة وقد أسلمت أنفاسها الأخيرة مبتسمة للقضاء والقدر راضية بمشيئة الله وارادته ، وأطفالها الصغار نيام حولها لا يفقهون شيئا مما حل بهم . أنفجرت دموع هذه المرأة الفقيرة رقة وحنانا ، وفاض فؤادها بالعطف والرحمة ، ناهيك بعطف الفقير على الفقير ورحمة البائس بالبائس ، وشفقة المسكين على المسكين ، لم تستطع هذه البائسة حبس عبراتها أمام هذا المنظر المؤلم فغدت تذرفها حارة سخينة . ولم تجد بُداً من حمل الطفلين والذهاب بهما الى كوخها ، فأرقدت الصغيرين في سريرها وأرخت عليهما ستائره الممزقة ومكثت تنتظر عودة زوجها في حيرة واضطراب من أمرها . ماذا تقول لزوجها الذي يقضي

طول نهاره وجزءا من ليله في كد متواصل وتعب شديد ، وكفاح دائم في سبيل التحصيل على ما يسد الرمق ، وقد كانت الاسرة تضم سبعة فأوصلتها بفعلها هذا إلى تسعة ، وما هذه الزيادة إلا زيادة في شقاء زوجها ، وأخذت المرأة تضطرب خائفة من لوم زوجها وتعنيفه ، ولكن كانت واثقة من طيبة قلبه ورقة عاطفته .

وما كاد الليل ينتصف حتى دخل رب الاسرة الى الكوخ متعبا من العراك العنيف مع العواصف الهائجة التي كادت ترسله ومركبه الصغير الى قاع البحر لولا لطف الله ، لم يتحصل هذا البائس المسكين على سمكة واحدة رغم كل جهوده ، فعاد بخفي حنين ، ولكنه سر سرورا عظيما حينما شاهد زوجته وأطفاله آمنين في منزلهم .

ماذا أقول له يا إلهي عن فعلتي ؟ سألت المرأة نفسها وأخذت ترتجف كالمذنب حينما يتذكر ذنوبه الخطيرة ، ثم قالت بصوت مضطرب : قضت جارتنا نحبها ... لابد أنها توفيت في المساء بعدما ذهبت أنت إلى الصيد ... ثم أرسلت زفرة حارة ، واسترسلت قائلة : تركت طفلين صغيرين ... ولداً وبنتا .... الولد لم يمش بعد ، والبنت تتكلم قليلا .... مسكينة تلك المرأة ، كانت في غاية الفقر والاحتياج !

امتقع لون الرجل ، ورمى بقبعته المبللة بمياه البحر وصاح متضرعا الى الله :

- إلهي .. رحمتك يارب ... لنا خمسة أطفال سيصبحون سبعة ... نحن في هذا الفصل القارس الشحيح نكتفي بأكلة واحدة لعدة أيام ، فماذا يكون مصيرنا ؟ هؤلاء صغار لا يصبرون على أكل ، ولا يستطيعون عملا ... ثم التفت إلى زوجته وقال بحنان :

- قومي أيتها المرأة ... إذهبي حالا وأت بهما . سنكتفي الليلة بشربة ماء ونطعمهما ، وسأضاعف الجهود ...

أخذه العجب حينما رأى زوجته ثابتة في مكانها لا تتحرك ، فبادرها بقوله :

- مالك لا تتحركين ؟ ألم يعجبك هذا الكلام ؟.

وأرسلت الزوجة زفرة حارة من أعماق صدرها ، ورفعت ستار السرير المدرقة وقالت :

- أنظر... هاهما ....

(البصائر) عدد (3) السلسلة (2) سنة 1947م

6) - **الأدب والأديب** : الأدب كالمخدر الشديد المفعول والضرر ، من تلك المخدرات الفتاكة كالمرفين ، والكوكايين سواء بسواء . والأديب كمدمن هذه المخدرات المغلوب على أمره . يجد الأديب في الاشتغال بالأدب لذة ، ويجد في تصيد المعاني الحسان وابتكارها لذة ، ويجد كذلك في إذاعتها بين الناس وإيثار اعجابهم أو سخطهم متعة ، ويغدو الأديب في هذه الملاذ كلها وهو يجهل نتائجها العقيمة ومضارها الفتاكة ، يسعد ويتلذذ على حساب نفسه وصحته ، ينحت متعه من عقله وجسمه ، يجد في ألوان العذاب لذة ، ويجد في ضروب الشقاء متعة ، بل يجد في هذه الآلام التي يقاسيها وعذابها ، فيتمتع بهذا الاكتشاف ويسعد بهذه اللقية التي وصل إليها عن طريق الآلام والشقاء ، لا لشيء إلا لأنها تمده بما يسميه الخلق الفني البديع .

تتعذب نفس الأديب ، وتتطلب شيئا من الترفيه ، فلا يرحمها لأن الراحة تتطلب الكذب على النفس والتمويه عليها ، وهو لا يريد أن يغش نفسه ويكذب عليها ، وإنما يصدقها ويصدمها بحقائق الحياة مهما كانت مؤلمة مريرة.

ويغمر كذلك جسمه في العناء والتعب ، لأن راحة الجسم معناها ركود الذهن وقتل حاسة التفكير ، وهو

حريص على تغذية هذه الحاسة كل الحرص . وتغدو نفسه الانسانية تتخبط في ضروب الحرمان وتتعذب في آلام الحقائق ، ويغدو جسمه يضمحل في آلام الاجهاد وآلام العناء ، الى أن يذوب كما تذوب قطعة الملح التي تغمرها المياه .

الاديب انسان ضعيف يريد أن يعيش بعقل قوي جبار . إنه شخص غريب يستحق العطف والرحمة ، ولكن لا يجد في حياته سوى الجحود والحرمان والآلام والنكران ، الى أن يدركه ربه برحمة الموت فتحمله الى عالم الأبدية ، حيث الراحة والطمأنينة والخلود .

جريدة البصائر عدد (6) السلسلة (2) سنة 1947م .

7) – **بيني وبين الناس** : سأتناول في هذه الكلمات المستعجلة تصفية حسابي مع الناس ، فأعطي لنفسي ما لها وللناس ما لهم ، وكل ذلك بمودة وانصاف ، وكما قمت قبل سنين بهذه التصفية مع اخواني الحجازيين على صفحات (صوت الحجاز) أقوم بها اليوم مع اخواني الجزائريين على صفحات (البصائر) .

وهذه الكلمات المختصرة التي أقدمها للقراء الكرام لا تخرج عن دائرة المداعبة ، لكنها تنطوي على نقاش لطيف وحوار ظريف في بعض الحقائق ، وهي مع كل ذلك لا تخلو من فائدة ولا تخلو كذلك من فكاهة فيها صراحة ، ولكنها صراحة الصديق لصديقه الحميم ، وفيها عتاب ، ولكنه عتاب الاخ لاخيه الشقيق ، وفيها نقد ولكنه نقد بريء نزيه لحمته كشف الغطاء عن الحقيقة وسداه الاخلاص والانصاف .

وهي مع هذا وذلك تصفية حساب لابد منه ، وحل لعقد علمية وأدبية ، وايضاح لمشاكل اجتماعية وخلقية وسياسية ، تدور حول ما أستشكلته اثناء كتاباتي وبحوثي وما استغربته أثناء مطالعاتي ومناقشاتي سواء مع نفسي أو مع غيري .

سأتعاون مع الجميع على كشف الغطاء عن الغوامض ، وتقييد الشوارد بهذه الطريقة الودية الفكاهية التي ملؤها الاخلاص . وطريقتنا هذه تقرب ولا تبعد ، تبشر ولا تنفر ، أكتبها وأنا أبتسم ، ويقرؤها القارئ وهو يبتسم ، ويرد عنها من كان له ذلك وهو يبتسم ، فتتضح بذلك الحقائق وهي تبتسم .

وماتعب الكتّاب الحداد ، والناس الشداد ، وأيام تصفيتي مع الناصحين الهادئين ، حتى يتعود ويألف الناقدون الشاذون ، وحينذاك نصفي حسابنا مع الجميع على السواء ، واعتمادنا في كل ذلك على الله وحده ، نرجوه المعونة والهداية الى سبيل الرشاد .

جريدة (البصائر) عدد 27 السلسلة (2) سنة 1954

8) ـ **الشيخ النعيمي في الميزان** : «هل هو أديب أفسده العلم ؟ أم هو عالم أفسده الأدب ؟» .

تسمع بالشيخ نعيم النعيمي أيها القارىء من دون شك ؟ ولكنك لا تعرفه ولا يمكنك أن تعرفه الا اذا عرفته لك ، لأن معرفته تكلفك جهوداً كبيرة ودراسات دقيقة ، ولا تحاول أن تفهم من هذا أن شخصية الرجل شائكة يحيط بها الغموض بل العكس أصح . إن شخصيته صريحة الى حد بعيد ولكنها متعددة الجوانب ، وقد تقول إن تعدد الجوانب في الشخصية الصريحة لا يتطلب العناء في فهمها ودراستها ، وأجيبك إن ذلك حق لو كانت هذه الجوانب مرتبة ، ولكنها في هذه الشخصية

وضعت في لف ونشر مشوش وذات اتجاهات متعاكسة تتأرجح بين مد وجزر .

فهو شاب في هندام الشيوخ ، عالم في عقل أديب ، فقيه في خيال شاعر ، قديم حديث ذو ذاكرة ولكنه فضيع النسيان سريع الغضب سريع الرضا ، أما ذاته أو الوعاء الذى جمعت فيه هذه الجوانب المتعددة المتعاكسة ، فاني أصفه لك في كلمتين راجيا أن تعفيني من عناء وزنه وأخذ مقياس طوله وعرضه ، لما في ذلك من مشقة ، وحسبك أن تعلم أنه كروي الشكل وكفى ، صورة صغيرة لبشار بن برد ، غير أنه حاد النظر ، لم تؤثر كثرة المطالعة والدراسة المغرم بهما شيئا في بصره ، أما من الناحية الفكرية فقد تنازع فيه عاملان قويان : عامل العلم الديني ، وعامل الأدب الطليق .

فأي شيء هو ؟ هل هو عالم ديني له وقار العلماء وسعة أطلاعهم واتزان أحكامهم ؟ أم هو أديب له خيال الأدباء وشعورهم وتحررهم ، يسبح في عالمهم العلوي ، ويأوى إلى أبراجهم العاجية ؟ فهل يعيش مع الشيخ خليل والقاضي عياض ؟ (أم مع أصحاب المعلقات في جاهليتهم ؟ أو مع أدباء العصور العباسية والأندلسية) واذا ما تجاهلنا نصفه العلمي أو أزحنا عنه العامل العلمي جانباً نجده أديبا

حلو الفكاهة يروي لك النادرة تلو النادرة ، فلا تكاد تفرق ما بين مخلوقاته منها ومحفوظاته . وهو مع ذلك كله قوي الذاكرة كثير الحفظ ينظم الشعر ولكن أراجيزه الساخرة تطغى بروعتها على الجوانب الاخرى من أدبه .

نجد الشيخ النعيمي فى بعض الاحيان غارقا فى الأدب ينتقل من نكتة الى أخرى ، ومن بحث الى بحث ، ومن قصيدة الى قصيدة ، يروي ويعلق ، يقارن وينقد ، ولا يكاد ينتبه الى رجل الشارع الواقف أمامه يستجديه الفتوى ... وقد ينتبه إليه الشيخ النعيمي بعد فترة قد تطول وقد تقصر ، فيصلح حينئذ من هندامه ويكتسي بوقار رجال الدين ، ويعود الى الموطأ وتفسير المنار . حيث يغيب في حصونهما الحصينة لحظة يخرج بعدها مفتيا ، يحفظ ويدرك الاصل والفرع ويفقه الحكم والتعليل ، وهكذا ينغمس في نصفه الديني ، ولا يكاد ينتبه حتى يسمع أحدهم يتكلم عن أديب أو يترنم بشعر ، فيعود الى الأدب ، أو يسمع مناقشة في الاصول فيعود الى الدين ، واذا ما سأله أحد الى أي طائفة ينتمي ؟ للعلماء أم للادباء ؟ احتار فى الجواب واستمر فى حيرته الى أن يسعفه أحد زملائه بالجواب الشافي ، فيعرفه تعريفا جامعا مانعا ، ولكن هذا التعريف أيضا لا يخلو من طرفي التنازع ، لأن الشيخ

عند العلماء عالم ديني أفسده الأدب ، وعند الأدباء أديب ممتاز أفسده العلم ، ولا يسع صاحبنا الشيخ الا أن يبتسم للنكتة وينطلق خارجا قاصدا بيته ... فيحتل عربة (الترام) المعاكسة لخط اتجاهه ، وقد تربع جالسا في مقعد منتظرا خلو مقعد ليحتله لانه نسي أنه جالس يسير الى اتجاه معاكس لا تجاه منزله ، واذا تذكر أنه نسي محفظة نقوده عند بائع نسي اسمه وحرفته ومكانه ، يهبط مسرعا تاركا وراءه محفظة كتبه وأوراقه وقد نسيها كما نسي ضيفا ضرب له موعدا في مكان نسيه .

يتبين لك من هذا أن الرجل قوي النسيان الى حد فظيع ، ولا يغرك ذلك فهو نساء ولكن في ميادين الحياة ، أما في ميداني العلم والأدب فان ذاكرته قوية يقظة لا يشق لها غبار ، ففي استطاعته أن يروي لك نادرة طالعها في كتاب يذكر لك اسمه ومؤلفه وتاريخ طبعه ، ويذكر لك عدد السطر من كتاب لاحظ فيه خطأ مطبعيا لبيت من الشعر أو نصا من حكم .

وبعد فهل زال عجبك من قولي : أنه كثير النسيان قوي الذاكرة ، عالم متزمت أديب طليق ، مستقيم ملتوى ؟ هل أدركت : كيف أستولى عليه هذا اللف والنشر المشوش ؟ فاذا ما أدركت ذلك فقد عرفت الشيخ النعيمي

يعرفت عنه قلة بسعة خاطره ودماثة أخلاقه وتبين لك أنه حضري في ثوب البداوة وبدوي في عقل حضاري ، شيخ شاب وشاب شيخ

البصائر عدد 262 السلسلة (2)

(3) - **عبد الرحمن شيبان في الميزان** : «بذور ديمقراطية صالحة في تربة أرستقراطية خصبة» .

شخصية ملأى بالمفاجآت والعقد النفسية والتي كنت عند قضايا التي قدمت للقراء أروع تحليل سيكولوجي ، حيث تبقى هذه الشخصية غارقة في عقدها النفسية إلى أن يرزقها الله بمن يحللها تحليلا صافيا ، لما أن هناك من بما ظهر تاركا ما بطن ، وحتى هذه الجوانب القاهرة التي لا تخلو بطبيعتها من التعاريج والأحراش .

الشيخ عبد الرحمن شيبان ديمقراطي الأفكار ، أرستقراطي الشخصية ، ومنشأ هذا التناقض العجيب ووجود هذه الديمقراطية المطلقة في هذه الشخصية الأرستقراطية المحافظة ، هو أن صاحبنا نشأ متنقلا في أسرة أرستقراطية

مثالية في التحفظ والتقاليد ، ثم انتقل إلى بيئة الطلبة الديمقراطية وحياتهم الشعبية الحرة ، فتغذى بهذه المبادئ، وآمن بها دون أن يقطع صلته بماضيه وتقاليد أسرته ...

وإني لا أشك في أن صاحبنا يتساءل .. حينما يتجرد من شخصيته ويجعلها أمامه في ميزان المجتمع : هل هذه الشخصية ديمقراطية دخيلة أم أرستقراطية أصيلة ؟

ولعل من هنا نشأ عنده هذا التردد الذي يعرفه فيه أصدقاؤه ، ويقدره هو في نفسه ، فهو كثير التردد في كل شيء ، حتى في أبسط الأمور لأنه ينظر لكل شيء بمنظارين : أحدهما حر طليق ، والثاني محافظ معقد ، فإذا وقف أمام أحد الباعة يقلقه بنقضه وإبرامه ، وإذا اشترك مع أحد زملائه في عمل يثير أعصابه بنقضه وإبرامه وإقدامه وإحجامه .

لقد اعتقد ذات يوم أنه رجل دين (قلنسوة) و (جبّة) و (برنس) ، وجلس للإمامة والإفتاء ، وتقدم له شخص يطلب الفتوى في مسألة دينية ، فما كان من الشيخ إلا أن تنحنح وتنحنح وراجع قواعد أصوله وفروعه ، وقال : قال الشيخ معروف الرصافي رحمه الله ورضي عنه ، واسترسل يقرأ قصيدة الرصافي ، فهو إذا رجل الدين ، نعم

ولكنه يروي هذا الدين عن شيخه المرحوم (بوشربية) ... واختلط على الشيخ دينه بأدبه ، فقرر ان يُطلّقَ العمامة والجبة والافتاء في الدين ، (فتطربش) و (تسرول)، ونصب نفسه مفتيا في الادب وفي الادب فقط .

وصاحبنا لا يحلو له أن يأخذ الا كل طريف ، والا يعجب الا بكل ظريف مهما كان مصدره ، ومهما كانت بيئته ومذهبه ، ومن هنا تبدو لك أناقته في الأدب ، في مطالعته في أسلوبه في مناقشته ، كما تبدو أناقته في ملبسه وهندامه ، ولولا كسله في الانتاج ، أو شحه بهذا الانتاج لقدم للقراء روائع .

ولكن ما بالى نسيت أن أخطط لك صورته ؟ فاعلم إذن وباختصار : أن شيخنا شيان شاب في العقد الرابع فارع الطول ، قوي البنية ، أنيق الملبس ، حتى أنه يفرط في بعض الاحيان في هذه الاناقة ، فتجده ينتقي كل قطعة من لباسه بعناية تامة ، ولا يشترى قميصا أو ربطة عنق ، حتى يعقد مؤتمرا ويجمع آراء من يثق بذوقهم ومن لا يثق على السواء ، ثم يتوجه الى البائع الأول ويشترى حاجته من البائع العشرين . أما حلاقه فمشكلة من المشاكل ، فهو الى الآن لم يستقر رأيه على حلاق يرتضيه أو نوع حلاقة ترضيه .

ولكنه مع ذلك كله شاب لطيف المعشر ، طريف المظهر ، كثير الثقة بأصدقائه ولكنه كثير الحذر ، وقد يكون هذا الحذر في غير محله ، حسن الظن بعباد الله الصالحين وغير الصالحين ، يحب الشخصية الجبارة ويعجب بها ، ولو كانت شخصية راسبوتين !

(البصائر) عدد 265 من السلسلة (2)

10) ـ الشيخ الباجورى في الميزان : «انه المعيدي الصغير لكن ، خير لك أن تسمع به وتراه» .

الشيخ عبد القادر الباجوري جندي من قدماء المحاربين في هذه الحركة الاصلاحية المباركة ، خاض المعارك في كل ميدان ، واستعمل في كفاحه كل سلاح ، عصي المزاج تحتل نفسه ثورة عنيفة في جرأة عنيدة ، ولهذا لاتعجب إذا ما قلت ان الرجل اختصاصي في معرفة السجون والمنافي وألوان العذاب ، فقد نزل ضيفا غير مكرم على أغلب السجون الاستعمارية ، وذاق من ويلاتها أصنافا أكثر من أصناف الطعام التي ذاقها في حياته ، ولكن كل ذلك لم يفل من حدته ويحد من عزمه شيئا .

وإذا بدا لك ساكنا ناعما ، فاعلم أن وراء السكينة نارا تتأجج ، وأن تحت النعومة أشواكا حادة .

الشيخ الباجوري كهل في العقد الخامس من عمره المديد الملآن بالحوادث ، قميء يبلغ طوله نصف طول شيبان ، ويبلغ وزنه نصف وزن الشيخ حماني ، وتبلغ صباحة وجهه نصف جمال الشيخ بوكوشة ، وما عليك إلا أن تجمع هذه الأنصاف الثلاثة ، وتضيف إليها عينين متوقدين كأنهما شرارتان ، وتجعل في وعاء مخه قطعة من قنبلة ذرية ، ثم ألبسه عمامة مشوشة وجبة ونظارة ، وستستقيم لك صورته الرائعة الفاتنة .

صاحبنا رجل علم ودين وأدب . خطيب بارع وواعظ ناجح ، ولكنه متمرد بعض الشيء عن الأوضاع البالية والتقاليد المعكوسة ، يميل الى التجديد ولكن في حدود المنطق والعقل ، متواضع سلس الانقياد ، يسيل رقة اذا ما ارتدى ثوب الرضا ، أما اذا لبس أثواب السخط والثورة فإن شرر الجحيم يتطاير من عينيه ، وقذائف سقر تتناثر من فيه ، وهو ساخط على الأوضاع متبرم بالحياة ، ولكن تبرمه في غير شكوى ، لا يعيش لنفسه ، ولا يقيم لمصالحه المادية وزنا ، بل تجده يخجل ويندى جبينه كالطفل المذنب ، إذا ما حادثته فيما يخصه من المصالح المادية ، صبور عنيد ،

لا يقيم للمادة وزنا حتى ولو كان في أشد الحاجة اليها ، وهو لا يصلح للامارة ولا للتجارة ، أما الأولى فذلك لأنه عاطفي ، سريع الاندفاع ، حسن الظن بالبشرية ، رغم كثرة تجاربه ، فإذا رأى اعوجاجا في زميل أو لاحظ ما يسيء ظنه بعميل ألقي بالامارة وتقاليدها في الجحيم ، بعد ما يكيل لها كيلا وافيا من غضبه وثورته وشتائمه المحفوظة منها والمبتكرة ، والامارة كما لا يخفاكم تتطلب أعصاب الانكليز ، ودعاية الأمريكان ، وثقة الشيخ خير الدين ، وأما التجارة فانه لا يصلح لها أيضا لعدة أمور : أولها لانه لا يحب المال ولا المال يحبه ، كثير الثقة بالعباد ، ثم إن فلسفته في الحياة تتطلب (أنفق ما في اليد ولا تفكر في الغد) ، والتجارة تتطلب من أصحابها حرص اليهود ، وحذر الروس وحسابات بيشمال .

وعلى هذا فإن شيخنا الباجوري محكوم عليه بالرسوب في هذين الميدانين ونتيجة اختياره في هذه المواد : واحد من عشرة ، وليضحك انتقاما منه تلاميذه الذين كثيرا ما أتحفهم بهذه النتيجة في اختباراتهم ، ولكن صاحبنا جندي موفق يملك جميع مواهب الجندي ، وأسلحته : الايمان القوي بعقيدته وتمادته في التضحية ، والتفاني في سبيل هذه المبادىء والعناد والجرأة والاقدام دون

تردد أو وجل ، والصبر والتجلد دون تبرم أو تشك . واذا عرفت أن وعاء دماغه عبارة عن كشكول ، جمع ماهب ودب من علوم الدنيا والدين ، تبين لك لم اخترت له مركز جندي ممتاز في الحركة

هذا هو الاستاذ الباجوري ، وقد وزنته في ميزان الورق الموضوع على مكتبي ، وقد حاولت وزنه في الميزان السابق ، فلم يحرك عقربه ، لانه أعد للحجم الثقيل ، بارك الله في شحم ولحم أصحابه . وصاحبنا من وزن الريشة ، فيه رطل من اللحم ورطلان من العظم ، ومثلهما من اللباس .

(البصائر) عدد 266 من السلسلة (2)

• • •

هذه أمثلة من وزن حوحو لأصدقائه ومعارفه الذين وضعهم في ميزانه الدقيق المحكم ، ومجموعهم ستة أو سبعة فقط لسوء الحظ ، وليته أستمر فوزن البقية الباقية ، وليت الأمر ما توقف . وقد علمت أنه كان يعرض الصورة التي يرسمها لاحدهم على صاحبها قبل أن ينشرها ويعرضها على الناس ، حتى يحصل على موافقته .

وقد تلقى حوحو رسائل تشجيع وتحبيذ لعمله هذا من القراء ، ومنهم من طلب منه استعمال المشرط بدلا من الميزان ، وبعضهم فزع وخاف أن يوضع في الميزان .

11) ـ من غربل الناس نخلوه (حوحو أيضا في الميزان) داعبه أحد أصدقائه (الحفناوى هالي) بأبيات جمعت فيه كل المتناقضات المتضادات ، ولكن شتان بين هذا الميزان وذلك الميزان ، يبدؤها بقوله :

شائق مائق ضحوك غضوب   مشرق مظلم ، عبوس طروب
نابه خامل ، عليم جهول   عادل جائر ، كسول دؤوب..

إلى أن يقول :

يزن الناس هكذا (بصروف   كصروف الزمان ، وهي خطوب
أن وزن (الحكيم) ليس بمطبو   ع كوزن (الحمار) ، وهو غريب
فاعدنا (أخا الحمار) اعتبارا   فلعل الميزان فيه ثقوب
وزن الناس مقسطا أوفم   الوزن (كيلا) إذن وأنت أديب

من آراء أدبائنافي حوحو وأدبه وآثاره .

(أ) - في مميزات فنه يقول الاستاذ أبو القاسم سعد الله :

لفت نظرى في أدب حوحو ظاهرتان هامتان : الأولى السخرية والثانية براعة الحوار **فالسخرية** ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها ، يلتجيء اليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون الحياة . وليس غريبا أن يعمد حوحو الى هذا الاسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري ، تسوده تقاليد معينة في المرأة ، ورجال الدين واستخدام وسائل الحضارة ، وتحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والأرهاب في كل شيء ، وعندى أن حوحو لو امتهن الرسم لكان أبرع الرسامين في فن (الكاريكاتير) بالذات ، والرسم كما يقدم إليك شخصية حية لها أبعادها ومفهومها ، قد يقدم اليك

فكرة أو نظرية أو موضوعا أو منظرا ، وكلها رسوم لها دلالتها في التأثير والتشويق أو الدعاية والنقد .....

أما ظاهرة الحوار فهي كذلك من أبرز ما امتازت به أعماله الأدبية ، وقد برع فيه لدرجة كبيرة ، لم أعرف أديبا جزائريا وصل الى مستواه . استخدم حوحو الحوار في القصة وفي المسرحية وفي الموضوعات المختلفة . وكان حواره يمتاز بالسرعة والجدة والنكتة مما جعله خفيفا على الأذن قريبا الى القلب . وقد ساعدته شخصية الحمار الذي أجرى على لسانه مناقشات كثيرة للمشاكل الاجتماعية والوطنية ، ساعدت هذه الشخصية على طرافة الحوار وخفته .

وهناك عدة ظواهر أخرى تسود أدب حوحو ، ولكن أغلبها ثانوي إذا قيس بالظاهرتين السابقتين ، ولن نكون متحاملين إذا قلنا : إن باع حوحو في اللغة العربية لم يكن طويلا ، ولكن ثقافته الفرنسية واطلاعه الواسع ، وروحه المرهفة واحساسه بمسؤولية الاديب الملتزم ، كل ذلك جعله شخصية متميزة في الادب الجزائري الحديث .

(دراسات في الادب الجزائري الحديث) ص . 9 من منشورات دار الآداب بيروت سنة 1966م .

(2) ـ ويقول الاستاذ أحمد بن ذياب في حوحو وأدبه :

يعتبر حوحو إلى حد بعيد أول كاتب جزائري نزل الى الشعب ، يبحث عنه ليأخذ بيده الى النور بطرائق مختلفة : مسرحية ، قصصية ، مقالات اجتماعية تثقيفية ، وأخرى سياسية ، وكانت وسيلته الناجحة هي لغة الحوار . وحوار حوحو في جمله لطيف رشيق قصير العبارة . وهو بهذه الطريقة أمكن أن يجتلب إليه الكثير من القراء ممن ارتبطت بينه وبينهم صلة متينة ...

جريدة (الشعب) بتاريخ 1974/4/1

(3) ـ ويقول الاستاذ أحمد منور في مسرحيات حوحو :

يبدو الطابع الاخلاقي واضحا عند حوحو في النهاية التي كان يضعها لمسرحياته ، حيث نجد الغلبة فى الاخير دائما للخير على الشر ، فتتغلب القناعة على الشره ، والاستقامة والعفة على الغدر والخيانة وهكذا .

وتتسم مسرحياته التاريخية أيضا بهذا الطابع الاخلاقي بالاضافة الى الهدف العام من ورائها ، الذى يلتقي فيه حوحو

مع غيره من كتاب المسرح الفصيح في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، مثل مانجد في مسرحية (حنبعل) لتوفيق المدني ، و (بلال) لمحمد العيد ، و «المولد النبوي» لعبد الرحمن الجيلالي ، و (الناشئة المهاجرة) لمحمد الصالح رمضان ، ويتمثل هذا الالتقاء فى كونهم جميعا يهدفون الى احياء التاريخ العربي الاسلامي وحتى ما قبل الاسلام ، والاستفادة مما يحتوى عليه من مواقف بطولية وانسانية .

وللوصول الى هدفه من المسرح ، وهو التسلية والتربية الخلقية ، كان حوحو يراعي مسألتين حينما يكتب مسرحياته : (الأولى) : مستوى الجمهور ، فقد كان يكتب لجمهور يتألف من عامة الناس ، ومن تلاميذ المدارس وأوليائهم ، ولا يغيب عن أذهاننا أنَّ الأمية في ذلك الوقت كانت متفشية بنسبة كبيرة . . . . ولذلك كان حوحو يراعي السهولة والبساطة في التعبير حين يكتب بالفصحى ، كما كان يكتب بلغة مهذبة قريبة من الفصحى حين يكتب بالعامية ، حتى يقرب من الهوة التى كانت تفصل بين هذه وتلك .

و (الثانية) : هو أنه كان يختار اللغة الفصحى للمسرحيات الدرامية ، واللهجة العامية للمسرحيات الكوميدية وأعتقد أن سبب اختياره للعامية في المسرحيات الكوميدية

يرجع الى الدور الاساسي الذى تلعبه العامية في المواقف المضحكة ، حيث أن اللهجة العامية تحتوي على تعابير لها نكهتها الخاصة التي تصعب ترجمتها الى اللغة الفصحى دون أن تفقد دلالتها القوية ، وقدرتها على اثارة الضحك ، ويلتقى حوحو في هذا مع أغلب كتاب المسرحية الفكاهية الذين يفظلون استعمال العامية في الحوار ، وذلك منذ أرستوفان في العهد اليوناني .

جريدة (الشعب) عدد **5463** بتاريخ **1981/5/24**

(4) - أما الدكتور الركيبي فيستعرض أمثلة وفقرات من مسرحيات حوحو ويعقب عليها بما يرى فيقول :

يمكن أن نلتمس ذلك (يعنى الموضوعات ذات الصلة بالمجتمع وما يتصل به) فيما كتبه حوحو في مسرحياته القصيرة التي تتكون من فصل أو أكثر ، أو تلك التي اقتبسها من المسرحيات الفرنسية ، ومثلت على خشبة المسارح الجزائرية فى الأربعينات وبداية الخمسينات ، وكان لها أثرها الواضح في الحياة الأدبية والأجتماعية على السواء .

فمى إحدى هذه المسرحيات القصيرة يعالج موضوعا

اجتماعيا يعرض فيه الى الزواج ، وكيف أن أبنة أحد الشخصيات المرموقة في المجتمع تتزوج من أديب فقير ، ويجرى الحوار حول هذا الموضوع ، تظهر فيه روح الفكاهة والسخرية المبكرة لدى حوحو الذي طالما سخر من أصحاب الجاه والمال ، ونكت على وضع الأدباء ونظرة الناس اليهم ، ويظهر هذا جليا في مسرحية (الوهم) كذلك يظهر هذا الاسلوب الفكه الساخر في مسرحية (أدباء المظهر) التي يتحدى فيها أولئك الذين يتشبهون بالادباء في المظهر دون أن تكون لهم مواهبهم ومواقفهم ، ولكنه يعالج فيها بعمق ما يعانيه الاديب الاصيل في بيئته التى لا تقدره ولا تقبل على انتاجه ، لانها لا تقدر الأدب. وانما تقدر المال والجاه والسطوة .

وتتفتق حيلة (الاستاذ خليل) الأديب المعروف فينشر إعلانا في الصحف يتعهد فيه لمن يدرس عليه بأنه قادر على أن يجعل هذا أديبا في ساعات قليلة ، فيقصده الشباب ويجري بينه وبينهم حوار حول الأدب ، وينصحهم بأن يحفظوا أسماء بعض الشعراء والكتاب ويصبحون أدباء ، ويتسلم مرتبه منهم ، وبذلك وجد وسيلة للرزق بعد أن عجز أن يقنع الناس بما في كتبه من غذاء روحي وثقافي . (ويعرض هذه الصورة لدرس الاستاذ خليل لطلابه في الأدب) :

«خليل : ينقسم الأدب الى قسمين : القسم الأول ـ وهو قسم المظهر ـ فينبغي اذن على الشخص الذي يريد أن يمثل أديب اليوم أن يرتدي ملابس أنيقة ، وأن يستعمل نظارة ، ويحمل قلم حبر ودفتراً صغيراً» ـ «أما المرحلة الثانية فهي أن يحفظ الشباب أسماء بعض الأدباء والشعراء المتقدمين ، وأدباء القرن الرابع عشر الهجري ، وأسماء بعض مؤلفاتهم» . ويجري الحوار بهذا الاسلوب الفكاهي في المسرحية سواء ما كان بين الاستاذ ألأديب وبين أحد تلاميذه وصديقه ، أو بين طلاب الأدب الذين يبحثون عن الشهرة بأي ثمن ويسعون الى المجد الأدبي بلا جهد أوثقافة .

(تطور النثر الجزائري الحديث) ـ ص 229 سنة 1984م

(5) ـ وهذه بعض آراء مقتضبة للدكتور مرتاض بعد دراسته لقصة (فتاة أحلامي) لحوحو .

... لم يكد حوحو يكتب الجملة الأولى في القسم الثاني من قصته ، حتى أجتذبنا اليه فكأنما شدنا بالأمراس ، وربطنا الى القصة بأمتن الحبال ، فنحن لا نستطيع أن نعرف عنها الا بعد أن نأتي على قراءتها إيا .... وأحمد

رضا حوحو بارع في التصوير النفسي براعة فذة ، ولعل أكبر عامل جعله يوفق في هذا العنصر الهام ـ الذي يقدر ما تعلو نسبته في الكتابات القصصية ، بقدر ما تدنو هذه الكتابات من التوفيق ، وتتحلى بالقبول ـ وهو عنصر السخرية ، والسخرية من أخصب العناصر التي تعلى من قيمة العمل الأدبي ، وترقى بأسلوب الكاتب القصصي الى ذورة الكمال . . . . .

أما اللغة التي أصطنعها حوحو فقد كانت صالحة للفن القصصي لسهولتها وعذوبة مخارجها ، ولكنها كانت رقيقة جدا حتى إن حوحو لم يسلم من كثير من الزلات اللغوية ، مما يدل على أنه لم يكن يُعنى بلغته ... وكان يأخذ (ما كان في سوق العصر) على حد تعبير الابراهيمي. (ثم يعرض أمثلة من سقطاته ...)

أحمد رضا حوحو كاتب قصصي ما في ذلك شك ، وهو الى ان يكون كذلك ، أولى له ان يكون أي شيء آخر ، كأن يكون ناقدا أو مصلحا مثلا ، فأن طبيعته المرحة ، ونفسه الثائرة كانتا خليقتين بأن تجعلا منه كاتبا قصصيا غنيا من الطبقة الأولى ، كان في أسلوبه خفة لا تعدم ضعفا ووهنا ، وفي لغته عذوبة لا تعدم فقرا وارتباكا بين حين وحين ، على أن اللغة لم تستقم الا لقلة قليلة من الناس

وأكاد أجزم بأن حوحو لو لم يسفح دمه الطاهر الفرنسيون ، لأضحي كاتب القصة القصيرة الأول في الجزائر ، فلا علينا أن نقرر إذن ، ونحن مطمئنون ، إلى أن هذا الكاتب الشهيد يجب أن يعد رائداً للاقصوصة في الجزائر بلا منازع ....

فتبا ثم تبا لتلك اليد المجرمة القذرة التي سفكت دمه ، فحرمت الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، أحد أساطينه الأقوياء ، ورجالاته النبغاء ، وأحد الذين كان ينبغي أن يكون لهم في هذا الأدب شأن أي شأن .

كتاب (نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر) صفحات (169 – 175) طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر (بدون تاريخ) .

(6) – **وهذا الاستاذ الشيخ حمزة بوكوشة يعطي رأيه في كتاب (صاحبة الوحي وقصص أخرى) لحوحو :**

تسع من القصص الطريفة الوجيزة للاستاذ أحمد رضا حوحو طبعها بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة ،

والاستاذ حوحو كاتب قصصي ، ونحن في حاجة الى هذا النوع من الكتابة والكتاب ، إذ كتاب القصة عندنا أقل من القليل ، تلوت تلك القصص قصة قصة ، فأعجبت ببعضها غاية الاعجاب ، وأحسست كأني أعيش مع أصحابها أو أنا أحد أبطالها ، ومع هذا لا أشارك الأستاذ حوحو في حكمه على قصصه ، فهو قدم مثلا قصة (صاحبة الوحي) على غيرها وجعلها كالعنوان لمجموعة القصص وما (صاحبة الوحي) بالنسبة لقصة (أدباء المظهر) أو لقصة (ثري الحرب) أو لقصة (خولة) الا في الدرجة الثانية . وشفيع الاستاذ في تقديم صاحبة الوحي – فيما أظن – أنها أول ما خطه قلمه بالنسبة لهذه المجموعة وأول ما جاش بفكره ، وشفيعي أنا في تأثري بتلك القصص الاخرى أنها صادفت هوًى في فؤادي لاني شاهدت صورا منها في واقع الحياة .

فقصة (ثري الحرب) أو قصة الاغنياء حيث هم ؛ تتكرر أمام أنظارنا صباح مساء فإذا كان سي شعبان بطل قصة ثري الحرب ، اشترى بمبلغ عظيم مقعداً حقيراً في مجلس نيابي ، واحتل مقاعد عديدة في مختلف المجالس والجمعيات ، وهو يبذل بسخاء ليمكّن مركزه الجديد ، فقد رأيت من الأثرياء من يضع بعض الكتب

العلمية بمنزله ، ويظن أن العلم بالحديث هو الاحراز على نسخة من صحيح البخاري ، والعلم بالتفسير هو الاحراز على تفسير من تفاسير القرآن ...

والفرق بين ثري الحرب وغيره ، وبعبارة أشمل بين من جاءته الثروة فلتة أو غلطة حيث لم يسع لها سعيها ، وبين من ولد فيها ونشأ ، أو تعب في سبيل الحصول عليها : أن الأول جشع يريد إرواء غرائزه في أقرب وقت ولو ادى ذلك الى بذل ما بيده من المال ، أما الثاني فيفرض نفسه ضريبة على كل شيء ولا يبذل في سبيل ذلك شيئا ، بل يجر لها من المنافع أشياء ، والحمقى من الناس يخدمون ركاب الاغنياء ويفسحون لهم المجال رغبة ورهبة أو طمعا وتملقا ولا يجنون من ذلك فتيلا .

وغير عسير على أصحاب الثراء أن يكونوا نوابا بالمجالس أو رؤساء للجمعيات ، وعسير عليهم أن يكونوا علماء أو أدباء ، وإن حاول بعض العلماء أو الأدباء وصفهم بذلك تملقا ، وهو جريمة كبرى ، ولا جريمة أكبر من نسبة الرجل إلى غير مواليه .

واذا كانت قصة (ثري الحرب) رائعة فقصة (أدباء المظهر) لا تقل عنها روعة وهي تبين لنا ما وصلت اليه حالة الأدب وحالة الأديب ، وماذا يلاقي من إعراض

وانصراف الناس عن الأدب الخالص الى الأدب الزائف ، وضعف همم الطلاب ، حيث يقنعون بمعرفة شوقي وطه حسين والعقاد والمفاضلة بينهم أو بين غيرهم من الكتاب ويظنون أن ذلك يرفعهم الى مستوى الأدباء ، صاغ ذلك كله الاستاذ حوحو في (تمثيلية) أشخاصها ستة ، وهي تحتوي على منظرين ، صالحة لان يمثلها تلاميذ المدارس الابتدائية عندنا .

أما القصة التي ختم بها قصصه فهي قصة (خولة) التي أكرهها أبوها على الزواج بمن لا تحب ، ففرت من بيت الزوج قبل البناء ، وإكراه البنت على الزواج وجبرها من أمراضنا الاجتماعية التي عز دواؤها ، وهو لا يساوق المودة والرحمة التي تنشأ عن الزواج .

ثم ختم الاستاذ حوحو قصة (خولة) بفرارها من بيت الزوج ، وهذه عاقبة سوء للآباء الذين يخاطرون ويغامرون ببناتهم ، وعاقبة الأزواج أسوأ من ذلك ، فالمرأة المكرهة ان لم تستطع الفرار بجسدها فانها تفر بقلبها .

واذا رجعنا الى قصة (صاحبة الوحي) وهي القصة الأولى من المجموعة ، فإنا نجدها بالنظر الى موضوعها هزيلة إذ لا جدوى للقراء من قراءة قصة امرأة كانت مصدر إلهام شاعر من الشعراء ، واذا نظرنا اليها من الناحية الفنية

فإنا نجدها رص ألفاظ الى بعضها ، مع تقدير لما فيها من أوصاف بليغة ، وطلاوة مطربة .

وليعذرني الاستاذ حوحو في هذا الحكم اذ ربما كان في نظره قاسيا ، هذا مع إعجابي بأسلوبه الممتع بصفة عامة ، وهو أسلوب سهل في متناول القراء لا يكلفهم عنتا ولا عناء ، وقد لا يروق هذا الاسلوب لمن يتعثرون في أذيال أساليب القرون الأولى ، فتلهيهم أحيانا زخرفة الالفاظ عن المعاني ، وما جعلت الألفاظ إلا قوالب للمعاني .



في حفلة افتتاح مدرسة الهدى بالقنطرة الواقعة يوم 16 صفر 9 يناير سنة 1366 هـ — 1947 م ، الأستاذ الرئيس الابراهيمي يلقي كلمة الافتتاح

الاهتمام بحوحو

اهتمام مصالحنا ومؤسساتنا به :

أهتمت به في البداية (وزارة التربية الوطنية) في مناهج تعليمها ، وتسمية بعض مؤسساتها . كما أهتمت ، به (وزارة الداخلية) فأطلقت اسمه على عدة أماكن : ساحات شوارع ، أسواق ، الخ ....

ثم غيرهما من الوزارات في عدة قطاعات ، واهتم به (اتحاد الكتاب الجزائريين) فخصه بندوات ومحاضرات وما يزال يهتم به في المناسبات والذكريات ، واهتمت به (وسائل الاعلام) من صحافة واذاعة وتلفزة . وكتب الكتاب عنه ما شاءوا في الصحف والمجلات الوطنية وغير الوطنية . وتكلم المتكلمون عنه في الندوات واللقاءات وخاصة في الاسابيع الثقافية التي تقيمها البلديات والولايات

ويقام الآن (مهرجان القصة) باسم أحمد رضا حوحو في مدينة (سعيدة) سنويا ، كما يقام (مهرجان الشعر) باسم محمد العيد خليفة من سنوات كل عام في بلدة (بسكرة) ، ويتبارى الخطباء والشعراء في الاشادة بهما ، ويتبارز الباحثون والدارسون في التنقيب عن آثارهما وتحليلها أو تقييمها . ثم تذهب هذه الجهود سدى فلا تجمع ولا تطبع .

وليت (اتحاد الكتاب) الذي يعتبر المشرف الأدبي عليها ، والمشارك الاكبر في إقامتها ، يسعى لجمع ذلك كله وتقييمه وتصنيفه ، ثم طبعه ونشره في مجلته أو في نشرات خاصة به .

ولعل (المؤسسة الوطنية للكتاب) جادة الآن في طبع (الآثار الكاملة لحوحو) ولغيره من الكتاب والشعراء ، وفقها الله وأعانها وسدد خطاها في اختيار من يصلح لكل ميدان لتعطي القوس باريها ، وتهتم بالجانب العلمي والادبي والثقافي ، كما تهتم بالجوانب الاخرى الفنية والمادية وغيرهما .

المؤلفات التي تناولته :

1 ـ دراسات في الأدب الجزائري الحديث : د . أبو القاسم سعد الله دار الآداب بيروت سنة 1966 .

2 ـ القصة القصيرة في الأدب الجزائري . د . عبد الله الركيبي دار الكتاب العربي سنة 1969 .

3 ـ نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر . د . عبد المالك مرتاض الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1971 .

4 ـ تطور النثر الجزائري الحديث . د . عبد الله الركيبي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة 1976 .

5 ـ قراءات في القصة الجزائرية . أ ـ أحمد منور الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1981 م .

6 ـ الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر . د . عبد المالك مرتاض ديوان المطبوعات الجامعية 1982 .

7 ـ قاص من الجزائر . (رضا حوحو) الآنسة لوريت بحث أعدته بالفرنسية لشهادة التبريز بباريس .

8 ـ حول الكتاب مع حمار الحكيم : أ ـ محمد الطاهر فضلاء

9 ـ سبيل الخلود : أ ـ عبد المجيد الشافعي

10 ـ وهناك بحوث ودراسات أعدها ويعدها طلبة الدراسات العليا بالجامعة الجزائرية حول جوانب من أدب حوحو .

11 ـ وكثير من الكتب والصحف الأجنبية التي تناولت الحركات الأدبية والثقافية المعاصرة بالجزائر لا يمكن حصرها تعرضت لحوحو

كتب أدبية أخرى
لمحمد الصالح رمضان

المطبوع منها :

- ألحان الفتوة (شعر)
- الخنساء (مسرحية)
- الناشئة المهاجرة (تمثيلية)
- مغامرات كليب (قصة)

المخطوط :

- سوانح وارتسامات عابر سبيل
- الفصيح الدارج في عاميتنا
- من عيون بلادي
- شظايا وشذور

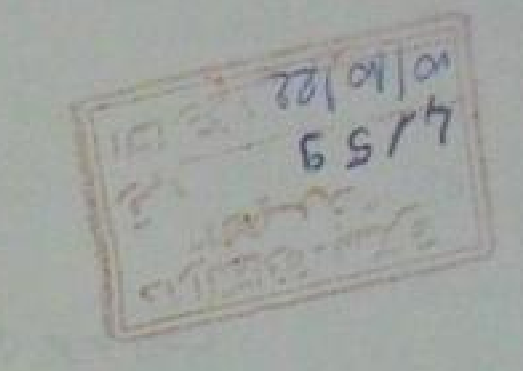
فهرس

إنتاجه وآثاره :

نماذج من إنتاجه :

من آراء أدبائنا في حوحو وأدبه :

الاهتمام بحوحو



طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية — 1985

عناوين فى هذه السلسلة

عمر راسم

ابو اليقظان

البشير الابراهيمي

رضا حوحو

وعناوين أخرى